

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية : العلوم الإنسانية والاجتماعية .

قسم : التاريخ .

الرقم التسلسلي :......................

رقم التسجيل: M.HMC/03/11

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في: التاريخ

تخصص : التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر.

العنـــوان

الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني

إعداد الطالبة

شهرزاد بوترعة .

تاريخ المناقشة : 07 / 04 / 2015 .

أمام لجنة المناقشة المكونة من :

- أ.د.صالح لميش أستاذ التعليم العالي جامعة محمد بوضياف – المسيلة رئيسا.
- د.محمد يعيش أستاذ محاضر (أ)جامعة محمد بوضياف – المسيلة مشرفا ومقررا.
- د.عبد الكامل جويبة أستاذ محاضر (أ) جامعة محمد بوضياف – المسيلة ممتحنا.
- د.عيسى بن قبي أستاذ محاضر (أ) جامعة محمد بوضياف – المسيلة ممتحنا.

السنة الجامعية : 2014 / 2015 .

بســـم الله الرحمـــن الرحيـــم

إلـــى:

الوالديـن الكريميـن...

صغيرتـي ريمة ...

إلـــى:

كل من يؤمن بالإحسان لرقـي الإنسان

أهـــدي هـــذا العمـــل .

الحمد للّه رب العالميـن ...

إلـى:

عائلتي ...

زوجي ...

الأستاذ المشرف ...

رفـيقات دربـي ...

إلـى :

كل من ساهم في هذا العمل

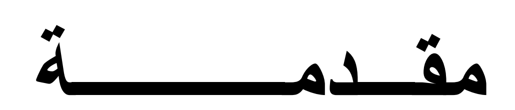
من قريب أو من بعيـد...

شكـــــــرا.

قـائمـة المخـتصـــرات :

تح	←	تحقيق .
د. م.	←	دون مكان نشر .
د. ن	←	دون ناشر .
س. م. ش .	←	سلسلة المحـاكـم الشرعيـة .
ع	←	عـلبـة .
و	←	وثيقــة .
م. / إ. مح .	←	مقدمة / إحالة المحقـق .
م. د. ح. م .	←	مجلة دعوة الحق المغـربية .
م .	←	ميكـرو فـيــش .

R. A . → Revue Africaine


مقــدمــــــــــة

احتاجت منا مرحلة الوجود العثماني بالجزائر إلى التركيز عليها بنظرة موضوعية بعيدا عن القوالب الجاهزة التي كرستها الكتابات الأجنبية ؛والتي صورت لنا هذه الفترة على أنها مرحلة تتقاطع فيها توترات سياسية بسبب التنازع على الحكم داخليا ، مع مشاكل حدودية مع الجيران ترجمت على شكل تدخلات في شؤون الآخر، بالإضافة إلى حظر تجوال في الحوض الغربي للمتوسط بسبب أعمال الجهاد البحري ـ القرصنة بمفهومهم ـ و امتهان الاستعباد خارجيا ،وما صاحب ذلك من حملات أوربية انتقامية ؛ ونتيجة لذلك جاءت دعوات للاهتمام بهذه الفترة من تاريخنا والتركيز عليها بموضوعية أكثر.

ولمّا كان عنوان مشروع الماجستير الذي يشرف عليه قسم التاريخ بجامعة المسيلة تحت عنوان :«**التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر**» ؛ جاءت هذه الدراسة المعنونة بـ :«**الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني**» ؛ بحثا عن : مغرب الشعوب ، بحثا عن الجانب المضيء للعلاقات الجزائرية المغاربية ؛ أو بتعبير آخر: بحثا عن الفعل الحضاري المغاربي في الجزائر العثمانية .

هذا وقد ارتكزت الدراسة على الجزائر دون غيرها من البلدان المغاربية لاعتبارات أهمها :

<u>أولا :</u> توسط الجزائر الفضاء المغاربي حيث أنها كانت محط رحال (علماء ، طلبة علم ، حجاج ، تجار) نظرا لوجود حركية ثقافية من وإلى الحواضر العلمية الكبرى: (فاس،القيروان،تلمسان..) بالإضافة إلى حركية اقتصادية بين البلدان المغاربية .

<u>ثانيا :</u> وجود بعض الوثائق بالأرشيف الوطني الجزائري تحوي معلومات مهمة عن الوجود المغاربي في الجزائر .

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع ـ بالإضافة للاعتبارات السابقة الذكرـ إلى جدة الموضوع حيث أن الموضوع لم يدرس من قبل ؛ وكذا لأهميته لأنه بحث عن تواصل مغاربي في أحد بلدانه ، لذا سنحاول الولوج لهذا الموضوع وكلنا إيمان بوحدة هذا الفضاء .

ولأن التساؤلات هي العمود الفقري والركيزة الأساسية لأي دراسة فقد جاءت في دراستنا هذه متمحورة حول إشكالية رئيسية هي: **هل كان للمغاربة فعل حضاري في الجزائر العثمانية ؟ وإن كان ، فما هو هذا الفعل ؟** وقد اندرجت أهم تلك التساؤلات الفرعية كما يلي :

ـ صور التواصل الاجتماعي المغاربي في الجزائر .

ـ تفاعلات العلماء المغاربة لأنّهم يمثلون النخبة .

ـ الإسهامات المختلفة للمتصوفة المغاربة في الجزائر ـ على اعتبار أن الفترة هي من أهم الفترات التي شهد فيها التصوف انتشارا كبيرا في الشمال الإفريقي .

وقد اقتضت منا طبيعة الموضوع أن نستخدم مناهج للبحث حيث استعملنا المنهج **التاريخي** لأن البحث بالأساس هو بحث تاريخي يحدد فيه الإطار الزماني والمكاني ، واستعملنا كذلك المنهج **الوصفي** والذي رافقنا من خلال تراجم بعض المغاربة وخاصة العلماء منهم ، بالإضافة إلى وصف بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية للمغاربة .ومن المنهج الوصفي استعملنا **التحليل** لاستنباط بعض الملاحظات من الوثائق الأرشيفية .

أما فيما يخص المادة المصدرية للموضوع ، فحتى لا نغوص في مثالية الفكرة وحتى نعطي للموضوع بناء هيكليا فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع ، فمن المصادر بعض وثائق المحاكم الشرعية المتواجدة على مستوى الأرشيف الوطني الجزائري ببئر خادم ـ ولاية الجزائر ـ ، وقد استعملت هذه الوثائق لإعطاء نماذج عن صور التواصل الاجتماعي المغاربي بمدينة الجزائر حيث وظفت في الفصل الأول ، بالإضافة إلى بعض المصادر المطبوعة والتي أحاطت بفترة زمنية قصيرة من موضوع الدراسة ؛وألمحت لنا لوجود مغاربة و لتفاعلاتهم في الجزائر ، كما أن في بعضها إشارات كثيرة عن العلاقات السياسية بين البلدان المغاربية .

ومن بين أهم المصادر التي وظفت خدمة للموضوع والتي كتبت بأقلام مغربية نذكر: كتاب رحلة العياشي المعنونة بـ "ماء الموائد "حيث أعطى لنا هذا المصدر العديد من المعلومات التي تخص نشاط ركب حجيج المغاربة في المحطات التي يمر بها في الجزائر، ومن المصادر كذلك كتاب "نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان" لابن

زاكور، ويعد هذا المصدر من بين أهم المصادر التي تؤرخ للتبادل الثقافي بين الجزائر والمغرب الأقصى ، وكذا كتاب " الترجمانة الكبرى " لأبو القاسم الزياني والذي زار هو الآخر الجزائر وأعطى لنا صورا عن التواصل المغاربي .

بالإضافة إلى هذه المصادر التي تندرج ضمن كتب الرحلة؛ استعملنا العديد من المصادر المندرجة ضمن كتب تراجم العلماء والتي قدمت لنا نماذج عن العلماء المغاربة وتنقلاتهم إلى الجزائر في صورة من صور التواصل الثقافي ، ومن بين أهم هذه المصادر نذكر كتاب:" نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني" للقادري وكتاب" إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع "، والذين وردا ضمن موسوعة أعلام المغرب لمحمد حجي ، ومنها كذلك كتاب "دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر" لابن عسكر، وكذا كتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية" لعبد الكريم الفكون حيث أعطتنا هذه المصادر من خلال تراجم العلماء نماذجا عن تنقل العلماء والمتصوفة للجزائر .

أما المراجع فقد اعتمدنا على بعض منها وخاصة التي تمس الجانبين الثقافي والاجتماعي لزمكانية الموضوع ومن بين هذه المراجع نذكر "الحرف والحرفيون لعائشة غطاس والذي رسم لنا صورة عن التنظيم الحرفي بالجزائر العثمانية وأدرج أنشطة هؤلاء بالمدينة ، ومنها كذلك كتاب لـ Rinn تحت عنوان :"– Marabout et Khouans Etude sur l'Islam en Algerie " حيث وظف هذا المرجع في الفصل الثالث لاحتوائه معلومات مهمة عن التصوف بالجزائر.

وفيما يخص الخطة الأولية لهذه الدراسة فقد توزعت على فصل تمهيدي و ثلاث فصول رئيسية ؛ ففي الفصل التمهيدي تحدثنا عن الواقع السياسي المغاربي خلال الفترة الحديثة من خلال إعطاء فكرة موجزة عن علاقات الجزائر السياسية بالمحيط المغاربي وذلك من خلال التطرق إلى صور التجاذب والتنافر في هذه العلاقات .

أما الفصل الأول والذي جاء تحت عنوان: المغاربة في الجزائر والتواصل الاجتماعي فقد تعرفنا من خلاله على علاقة المغاربة بالسكان المحليين من خلال إدراج نشاط المغاربة في المجتمع، حيث أدرجنا معلومات عن حركة المغاربة ضمن الإطار الجغرافي الجزائري

، وتحدثنا عن الجاليات المغاربية التي سجلت حضورها بمدينة الجزائر كما تطرقنا فيه للأنشطة المختلفة للمغاربة بمجتمع مدينة الجزائر .

والفصل الثاني خصصناه للعلماء المغاربة وتفاعلاتهم الحضارية في الجزائر العثمانية ، ذكرنا فيه المراكز العلمية بالجزائر والتي كانت عوامل جذب لطلبة العلم المغاربة ، كما تحدثنا من خلاله عن صور التواصل الثقافي للمغاربة بالجزائر من خلال ذكر طلبة العلم المغاربة الذين دخلوا الجزائر وكذلك نماذج عن المراسلات التي كانت تتم بين علماء مغاربة وجزائريين ؛ أما العنصر الثالث في هذا الفصل فقد ارتأينا أن نتحدث فيه عن الوظائف والمهام التي كلف بها العلماء المغاربة بالجزائر حيث ذكرنا نماذج عن العلماء الذين تولوا منصبي التدريس والقضاء.

وما تجدر الإشارة إليه أن العلماء المغاربة الذين تصدروا للتدريس بالجزائر تمركزوا بالمدن العلمية الكبرى آنذاك بالجزائر وخاصة مدينتي الجزائر وقسنطينة ؛ ونظرا لعدم تمكننا من الاطلاع على جل المصادر المؤرخة للوضع الثقافي بالجزائر آنذاك ارتأينا تخصيص عنصرين للمدرسين المغاربة ،الأول عن القرن 17 م/ 11هـ والذي خصص لمدينة قسنطينة والثاني عن القرن الذي يليه والذي خصص لمدينة الجزائر .

أما الفصل الثالث والأخير فقد كان مخصصا لنشاط فئة أخرى هي فئة المتصوفة المغاربة بالتطرق لحضورهم بالجزائر، فكما تحدثنا عن عوامل جذب العلماء للجزائر تحدثنا كذلك عن عوامل جذب المتصوفة من خلال التطرق للمتصوفة الجزائريين الذين كانوا مزارا للمتصوفة المغاربة ، كما تطرقنا فيه للمساهمات المختلفة للمغاربة خدمة للطرق الصوفية بالجزائر سواء كانت وافدة أم محلية .

وككل بحث واجهتنا بعض الصعوبات منها تشتت المادة العلمية فلا نجد أفكارا أساسية عن الموضوع في المصادر أو المراجع وما حوته كانت شذرات ، لذلك ذكرت بعض المعلومات مختصرة جدا وخاصة في تراجم بعض الشخصيات التي زارت الجزائر . ومن الصعوبات نذكر أيضا قضية وثائق المحاكم الشرعية التي استغرق البحث فيها وقتا بحكم حداثة التجربة مع مثل هذه المصادر فقد وجدنا صعوبة جد كبيرة في قراءة محتوى هذه الوثائق.

الفصل التمهيدي :

الواقع السياسي المغاربي خلال الفترة الحديثة

1 ـ لمحة عن الأنظمة السياسية بالمغرب العربي في الفترة الحديثة .

2 ـ العلاقات السياسية الجزائرية المغاربية بين التجاذب و التنافر .

شهدت منطقة شمال افريقيا تحولا على الصعيد السياسي مع بداية القرن 16م/10هـ حيث عوضت الدول ذات العصبية التقليدية[1] بدول استندت على عناصر طارئة ـ نقصد بذلك دخول العثمانيين الساحة السياسية مع محافظة المغرب الأقصى على النمط التقليدي للدولة ـ، وقد ترتب على ظهور العثمانيين تحولات على مستوى العلاقات السياسية بين بلدان المنطقة ، وسيتم خلال هذا الفصل إلقاء نظرة على الأنظمة السياسية بشمال افريقيا وكذا علاقات الجزائر السياسية بالمحيط المغاربي من خلال التعرف على طبيعة العلاقات ـ المتوتر منها والحسن ـ لمعرفة مدى تأثير السياسة على العلاقات الاجتماعية والثقافية بين هذه الدول .

1 ـ لمحة عن الأنظمة السياسية بشمال إفريقيا في الفترة الحديثة :

أ ـ الجزائر :عرفت الجزائر بداية الفترة الحديثة ضعفا وانقساما على المستوى السياسي فكانت البلاد عبارة عن إمارات سياسية مشتتة : إمارة الثعالبة بالجزائر، إمارة كوكو بزواوة ، إمارة سويد بنواحي المدية ، إمارة بني جلاب بتقرت ...في حين تراجع النفوذ الزياني لينحصر بتلمسان وضواحيها ، فأضحت البلاد بذلك عرضة للغزو الاسباني حيث احتُل المرسى الكبير1505م/911هـ ، وهران 1509م /915 هـ، بجاية 1510م/916هـ . وقد كان هذا الغزو دافعا للجزائريين من أجل طلب الدخول تحت لواء الدولة العثمانية وقد مر حكم العثمانيين بأربعة مراحل سنحاول إعطاء فكرة عنها وعن أهم الأحداث بها بإيجاز.

ـ مرحلة البايلربايات(1518 - 1588م):تميزت هذه المرحلة بالقوة والاستقرار على المستوى السياسي ـ تخللته بعض المحاولات الاسبانية للسيطرة على السواحل لكنها باءت بالفشل[2] ـ ، وفي هذه المرحلة تم توطيد الحكم العثماني على يد حكام كبار ذوو شخصيات قوية على غرار خير الدين باشا ،حسن آغا ، صالح رايس ، علج علي... حيث تم طرد

[1] نقصد بالدول العصبية تلك التي عوضت الدولة الموحدية وهي : بنو مرين بالمغرب الأقصى ، بنو زيان بالمغرب الأوسط ، بنو حفص بالمغرب الأدنى .

[2] من هذه المحاولات نذكر : الحملة على شرشال 1531م ، حملة شارلكان 1541 م ، حملة دالكوديت على تلمسان و مستغانم 1543م .عنها أنظر : صالح حيمر ، التحالف الأوربي ضد الجزائرعام1541وتأثيراته الإقليمية والدولية ،مذكرة ماجستير ،جامعة باتنة ،2006 - 2007 .

الاسبان من البنيون في سنة1529م/ 936هـ [1] كما تم توسيع حكم العثمانيين في سنة1552م/960هـ عند وصول القوات العثمانية إلى واحات تقرت وورقلة [2] بالإضافة إلى تقسيم الجزائر إلى أربع مقاطعات (بايلكات).[3] وما تجدر الإشارة إليه أن عهد البايلربايات امتاز بمتانة الروابط بين الإيالة والباب العالي رغم ما امتاز به جل الحكام من قوة شخصية وقدرات حربية بارزة .[4] ونظرا لخوف الباب العالي من انفصال الإيالة الجزائرية القوية عن الخلافة تم تغيير نظام الحكم باستبدال لقب البيلرباي بالباشا وتقليص مدة الحكم إلى ثلاث سنوات [5].

- مرحلة الباشاوات(1588-1659م): تميزت هذه المرحلة بالاضطراب السياسي بسبب تحول الحكام عن الغرض الذي أرسلوا من أجله فأصبح همهم جمع الأموال وعدم الاكتراث بالرعية وهذا ما خلق الانفصال بين الطرفين.[6] ومن بين أهم الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال هذه المرحلة: ظهور ثورات كالتي كانت بزواوة - مع نهاية القرن 16م/10هـ لتمتد إلى منتصف القرن الموالي -،[7] وثورة قبائل الشرق - الدواودة والحنانشة - 1638م/ 1048هـ [8] ، كما شهدت المرحلة محاولة من الكراغلة للحد من سلطة الانكشارية لكن

---

[1] De Grammont, histoire d'Alger sous la domination turque (1515 -1830), Paris, 1887, pp 34-35.

[2] Ernest Mercier, Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron Im., Constantine : 1903, p198.

[3] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط 1 ، دار الهدى ، عين مليلة - الجزائر، 2009، ص ص 146 - 147 .

[4] دلندة الأرقش وآخران، المغرب العربي الحديث - من خلال مصادره - ،مركز النشر الجامعي ، (د. م.) ، 2003 ، ص 41.

[5] De Grammont, Op.Cite , p 124.

[6] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص ص132 - 134.

[7] دلندة الأرقش وآخران ، مرجع سابق ، ص ص 42 - 43 .

[8] ابن المفتي ، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، تح.: فارس كعوان ، ط1 ، بيت الحكمة ، العلمة - الجزائر ، 2009، ص 50 .جاءت هذه الثورة كرد فعل على قتل الأتراك لشيخ العرب محمد بن السّخري .عنها أنظر: Ernest Mercier ,Op.Cite , p p 224-225.

محاولتهم انتهت بمجزرة في حقهم [1]. ونظرا لتسلط الباشا وتلاعبه برواتب الجند تم تغيير نظام الحكم .

ـ مرحلة الآغوات (1659-1671م): كان هذا النظام محاولة لإيجاد نوع من التوازن والديمقراطية داخل مختلف أجنحة المؤسسة العسكرية المسيطرة على السلطة لكن ذلك لم يتم لأن هذا العهد يمثل تسلط الجيش على الحكم وقد شهدت هذه المرحلة العديد من الاغتيالات السياسية [2]، وبسبب اختلال الأمن وانتشار الفوضى تم استئثار الحكم من طرف رياس البحر الذين أسسوا حكومة الدايات.

ـ مرحلة الدايات(1671- 1830م): كان الدايات ينتخبون محليا من بين ثلاثة موظفين وهم: خوجة الخيل ، الخزناجي وأغا العرب ،وانتخابه يكون مدى الحياة [3] كما كان له جهاز حكومي ـ وزراء ـ يساعده على سياسة البلاد[4] ، ومما يسجل عن علاقات الجزائر بالباب العالي في هذه المرحلة هو ضعف العلاقة خاصة بعد إلغاء منصب الباشا ـ مبعوث السلطان االشرفي ـ في سنة 1711م/ 1123هـ [5] حيث أصبح الداي يتقلد منصب الباشا بنفسه .

تميزت مرحلة الدايات بأحداث كان لها انعكاس كبير على البلاد فقد تم طرد الاسبان نهائيا من الجزائر وذلك بفتح وهران 1792م/ 1207هـ ؛ كما شهدت البلاد ثورات متعددة على حكم العثمانيين ومن أشهرها : ثورة التيجانيين ، ثورة ابن الأحرش، ثورة الدرقاويين [6] وما تجدر الإشارة إليه أن هذا العهد عرف نفوذا لليهود فبعض الشخصيات اليهودية

---

[1] عزيز سامح ألتر، الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر.: محمود علي عامر ، ط1 ، دار النهضة ، بيروت ـ لبنان ، 1989 ، ص ص 356 - 357 .

[2] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص 134- 135 .وكذا : أمين محرز، الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2007 - 2008 .

[3] حنيفي هلايلي ، أوراق في تاريخ الجزائر، مرجع سابق ، ص ص 136-137.

[4] موظفوا الأيالة كان يعينهم الداي من بين أصدقاءه ومن هؤلاء الموظفين : الخزناجي ، آغا الانكشارية ، الخوجة ، آغا العرب، وكيل الخرج ، خوجة الخيل مرجع سابق ، وغيرهم . للمزيد عن هذا الجهاز أنظر : جون ب.وولف ، الجزائر وأوربا 1500-1830 ، تر.: أبو القاسم سعد الله ، دار الرائد ، الجزائر ، 2009، ص ص390 - 391.

[5] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص ص 136-137.

[6] أرجع أحد الباحثين نشوب الثورات ضد العثمانيين بالجزائرإلى السياسة الجائرة التي اتبعها هؤلاء إزاء الشعب الجزائري وخاصة في المجال الاقتصادي . ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ـ دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ـ ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 2000 ، ص 326 .

ازداد نفوذها [1] إلى حد التدخل في شؤون الدولة [2] ، وقد انتهى الحكم العثماني في الجزائر كما هو معروف بالاحتلال الفرنسي سنة 1830م/ 1246 هـ .

ب - تونس : بعد دخول العثمانيين إلى تونس سنة 1574 م/ 982هـ أصبحت البلاد بمثابة ولاية عثمانية يحكمها باشا يوليه عليها خليفة اسطنبول وقد تميزت هذه المقاطعة إداريا على جارتيها طرابلس والجزائر مما أهلها لتسلك طريق الكيان السياسي التونسي[3].هذا وقد مر الحكم العثماني بتونس بمراحل هي: عهد الباشاوات (1574 م - 1591 م) ثم عهد الدايات بداية من 1591 م/ 1000هـ والذي اخترقه البايات المراديون خلال منتصف القرن 17 م/ 11هـ مقزمين من سلطة الدايات في الحكم - وقد دام حكم المراديين إلى غاية 1705 م/ 1117 هـ أين أخذت العائلة الحسينية مقاليد الحكم بالبلاد إلى غاية الحماية الفرنسية .

- عهد الباشاوات : كان الباشا كما أشرنا يعين من طرف الباب العالي لمدة ثلاث سنوات ، وقد كانت راية البلاد هي راية الدولة العثمانية والخطبة تقام باسم السلطان العثماني . لم يدم هذا العهد طويلا لاجتماع جملة من العوامل التي أدت إلى إعادة تشكيل نمط آخر لسياسة البلاد ومن هذه العوامل : استغلال الباشوات لنفوذهم من أجل الثروة والجاه قبل مغادرة المنصب ، وكذا ازدواجية السلطة فالباشا كان صاحب القرار السياسي نظريا ولكن الآغا رئيس الديوان كان صاحب القرار الميداني وبذلك آل الأمر والنهي إلى رؤساء الطائفة الإنكشارية . بالإضافة إلى استحواذ الأعراب على دواخل البلاد .[4] فأدى ذلك إلى انقلاب عسكري قام به الجند على كبار الضباط وأعضاء الديوان من البولكباشية في سنة 1591 م/ 1000 هـ [5].

---

[1] من بين هذه الشخصيات: سالامون جاكيت خلال القرن 18م ، بكري ، بوشناق - وقد كان لهذين الأخيرين دور في تأزم العلاقات الجزائرية الفرنسية والتي انتهت باحتلال الجزائر.عزيز سامح ألتر، مرجع سابق ، ص ص 410 - 411 .

[2] نفسه ، ص ص 408 -411.

[3] محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس - من ماقبل التاريخ إلى الاستقلال -، تر.: محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط 3، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 ، ص 68

[4] دلندة الأرقش ، **مرجع سابق** ، ص ص 55 - 56 .

[5] نفسه ، ص 57 .

- **عهد الدايات:** استهل هذا العهد بالانقلاب العسكري المذكور والذي أبعد كبار الضباط من الديوان وعوضهم بضباط صغار أطلق عليهم لقب الداي ، وبذلك أصبح للجند تمثيل في أهم جهاز في السلطة (الديوان)[1] ، وقد أدى ذلك إلى كثرة الدايات الممثلين للجند مما أدى إلى صعوبة اختيار الداي الذي يحكم البلاد [2]، وإلى عدم انفراد الداي بحكم البلاد ، إلا أن الداي عثمان (1598 - 1610م)أبطل ذلك واستأثر بالسلطة [3] وكان من بين أقوى الدايات الذين حكموا تونس ومنهم كذلك : يوسف داي (1610 - 1637م)، الداي أسطا مراد (1637 - 1640م)وهؤلاء الثلاثة تولوا سياسة البلاد بكل حزم شهدت بها انجازاتهم.[4]

وقد وصلت إصلاحات نظام الدايات إلى الحد الذي طغت فيه سلطة أخرى وهي سلطة البايات [5] حيث ارتفعت رتبة الباي على رتبة الداي على عهد الداي محمد لاز[6] فمراد كورسو باني البيت المرادي المرقى من طرف يوسف داي لرتبة الباي استطاع بفضل حنكته الحصول على منصب الباشا من الباب العالي و بذلك أصبحت سلطته موازية لسلطة الداي.[7]

- **التجربة السياسية للبايات المراديين في تونس :** بعد وفاة مراد باي ارتقى ابنه حمودة باشا(1631 - 1666 م) إلى منصب الباي نظرا لحنكته وتجربته مع والده في قيادة

---

[1] محمد الهادي الشريف، مرجع سابق ، ص 71 .

[2] محمود مقديش ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تح. : علي الزاوي وَ محمد محفوظ ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1988 ، ج2 ، ص 87 .

[3] محمود مقديش ، نزهة الأنظار ، ج 2 ، ص 89 .وكذا : محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص 71 .

[4] تمتع عثمان داي بشخصية قوية فقد كان من الضباط الأقوياء الذين تخرجوا من صفوف الجندية لذلك استطاع فرض نفسه على البقية . محمد الهادي الشريف ،**مرجع سابق**، ص 72 أما يوسف داي فقد اشتهر بين مواطنيه بالاهتمام بالعمارة ومن أشهر الانجازات المعمارية : سوق الترك ومسجده والمدرسة التابعة له بالإضافة إلى بناء قنطرة مجردة وقد انتعش على عهده نشاط رياس البحر . محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 91 - 92 . أما اسطا مراد فقد اشتهر بمحاربة الفساد الذي فشى في المجتمع ومن ذلك قطع الخمارات . محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 95 . وقد كان قبل توليه الدايوية من أشهر المجاهدين البحريين . محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص 72 .

[5] أول من وسع صلاحيات الباي هو الداي عثمان حيث منحها للقائد رمضان باي بأن كلفه بقيادة المحلة التي كانت تحوي العديد من المماليك الذين تمرسوا على تلك المهام واكتسبوا حذقا وعلمابسياسة الرعية ومن أشهر مماليكه : مراد الذي سيكون بداية لبروز الباي على الساحة السياسية . عن ذلك أنظر : محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 97 - 98 . دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 58 .

[6] محمود مقديش ، مصدر سابق ،ج2 ، ص 96 .

[7] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 59 .

الأمحال وإخضاع القبائل المتمردة[1]، وتنظيم وتطوير الجيش الذي أصبح في يد البايات المراديين [2] ، وقد قام حمودة باشا بتقسيم البلاد [3] بين أولاده الثلاثة [4] بعد ارتقائه إلى منصب الباشا [5] و أصبح الباي خلال هذه الفترة الحاكم الأول للبلاد بما توفرت له من إمكانات اقتصادية وعسكرية [6] ، أما الدايات فقد عزل الكثير منهم قرب توليهم لمناصبهم [7].

.[7]

وبعد وفاة حمودة باشا تولى مراد باي الثاني الحكم (1666 - 1675م) وقد سلك مسلك أبيه في تدبير البلاد وازداد نفوذ الأسرة ، مما جعل العسكر يمكرون بالمراديين فقاموا بخلع الداي محمد منتشالي الذي نصبه مراد كما قاموا بنهب الديار والممتلكات الخاصة بالبايات ، فضرب مراد بقوة وتمكن من القضاء على خصومه بكسرهم في موقعة الملاسين 1673 م / 1084 هـ .[8]

ويبدو أن التجربة المرادية لن تشهد القوة التي شهدتها على عهد البايات الأوائل حيث دخلت العائلة في أزمة بسبب تنازع الخلفاء على الحكم وبلغت الفتنة أوجها في صراع الأخوين محمد وعلي باي أبناء مراد الثاني وقد تدخلت الطائفة العسكرية بشخص الداي أحمد شلبي لتأجيج الصراع ومحاولة افتكاك السلطة من المراديين .[9]

انتهى هذا الصراع بانتصار محمد باي(1686-1696م) لكن خلفائه رمضان باي (1696-1699م) ومراد الثالث(1699- 1702 م) لم يستطيعا إعادة الاستقرار

---

[1] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2، ص ص 99 - 102 وكذا : دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 59 .

[2] محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص 78 .

[3] يبدو أن هذه السنة التي سنها حمودة باشا ستؤدي إلى خلافات بين أبناء الأسرة المرادية وستعرف هذه الخلافات أوجها في الثلث الأخير من القرن 17 م عند صراع الأخوين محمد باي وعلي باي على كرسي الحكم .

[4] قدم ولده الأكبر مراد باي لقيادة الأمحال ، ثم منح لمحمد الحفصي صنجق القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس ، أما ولده الأصغر حسن باي فقد ولاه صنجق افريقية .

[5] محمود مقديش ، مصدر سابق ،ج 2 ، ص 102 .

[6] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 60 .

[7] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 103 .

[8] مقديش ،مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 104 - 105 . وكذا : دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص ص 60 - 61 .

[9] محمود مقديش ، مصدرسابق ، ج 2 ، ص ص 107 - 132 .

الاجتماعي والاقتصادي ومعالجة الأزمة الشاملة للبلاد وخاصة في عهد مراد الثالث الذي كان دمويا فحدثت القطيعة بين الحاكم والرعية مما أدى إلى تقويض السلطة المرادية على يد إبراهيم الشريف في مطلع القرن 18 م/ 12هـ .[1] وقد أظهر الأخير في بداية الأمر سيرة حسنة لكنه جر على نفسه بأن دخل في حروب مع جيرانه أدت إلى أسره في سنة 1705م/ 1117هـ من طرف عسكر الجزائر.[2]

- **الأسرة الحسينية :** بدأ حكم هذه الأسرة بمبايعة أهل الحل والعقد لحسين بن على لأنه كان ليّنا حسن التدبير والسياسة [3] ، ومن انجازات الرجل: إجبار المحال الجزائرية على مغادرة البلاد في سنة 1705م/ 1117هـ ، وكذا تعزيز سلطته على حساب العسكر حيث حصل في سنة 1706م/1118هـ على فرمان التولية من الباب العالي لتكتمل سيادته ، واعتمد على سياسة قوامها التحالف مع الأعيان ودمجهم في دواليب الدولة وأجهزتها. [4]

وقد شهدت البلاد استقرارا نسبيا لكن الوضع لم يدم طويلا وذلك لدخول الأسرة في أزمة سلالية [5] أدت إلى حرب أهلية ،مرجعها تقديم حسين بن علي لابنه محمد باي على ابن ابن أخيه علي وانتهت هذه الحرب في الأخير بنصرة عسكر الجزائر لأبناء حسين بن علي في سنة 1756 م/ 1170هـ وتنصيب محمد باي الذي فرض عليه أن يبقى مدينا وتابعا لدايات الجزائر[6] ،أما العهد الذهبي للتجربة الحسينية فقد كان مع حمودة باشا (1782 - 1814 م)ابن علي حيث ساس البلاد أحسن سياسة واتبع منهج أبيه وعمه وقبلهما جده [7] ،

---

[1] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 61 .

[2] مقديش ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 148 - 154 .

[3] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 155 - 156 .

[4] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص ص 62 - 63 .

[5] قام حسين في البداية بمنح منصب الباشا لابن أخيه علي لكنه تراجع ومنحه لابنه محمد فخرج علي إلى ناحية جبل وسلات سنة 1728م أولا ثم إلى الجزائر أين مكث سبع سنوات وعند عودته جلب معه عسكر الجزائرسنة 1735 م وبمقتل حسين بن علي سنة 1740 م خلت الساحة لعلي باشا خاصة بعد خروج أبناء حسين إلى الجزائر ولكن أبناء حسين كانوا يأملون في الرجوع لتونس حيث دخلوا البلاد رفقة عسكر الجزائر سنة 1746م لكنهم لم يتمكنوا من هزيمة علي باشا وفي سنة 1752م خرج يونس ابن علي باشا عن أبيه فانتهى الأمر بخروج يونس إلى قسنطينة لاجئا ونفي أنصاره إلى الجزائر والذين أصبحوا أعداءا لعلي باشا وفي سنة 1756 م دخلت عساكر الجزائر البلاد رفقة أبناء حسين لينتهي بذلك عهد علي باشا وتنتهي معه أزمة الصراع على حكم الأسرة الحسينية . محمود مقديش ، مصدر سابق ،ج 2، ص ص 158 - 165 .

[6] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص ص 64 - 65 .

[7] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2، ص 170 .

وقد استطاع أن يقود البلاد ويخرج بها من التوترات التي كانت تعيشها من خلال التحالف مع الأعيان والاعتدال النسبي في النظام الجبائي بفضل تضاعف الموارد ذات المصدر الخارجي [1]، بالاضافة إلى سياسة خارجية تقوم على فرض هيبة الدولة على الدول الأوربية من جهة وعلى العثمانيين والسلطة بالجزائر من جهة أخرى.[2]

بوفاة حمودة باشا سنة 1814 م/ 1230 هـ وتغير موازين القوى دخلت الدولة الحسينية والبلاد التونسية مرحلة أخرى واجهت فيها تحديات عنيفة أدت إلى حالة من التردي في الأوضاع ليؤل بها المطاف إلى دخول عهد التبعية والانهيار.[3]

ج ـ طرابلس : تعرضت ليبيا مع بداية الفترة الحديثة ، وكسائر بلدان شمال إفريقيا إلى الهجومات المسيحية حيث وجهت حملة في سنة 1510 م/ 916 هـ أخضعت مدينة طرابلس للاحتلال الاسباني[4] وقد سلمت المدينة في سنة 1530 م / 937 هـ لفرسان القديس القديس يوحنا الذين اتخذوها قاعدة عسكرية لهم [5] وأمام الضغط المتواصل من طرف المحتلين على السكان المحليين طلب هؤلاء العون من الدولة العثمانية [6] فوجه السلطان حملة بقيادة سنان باشا لتحرير البلاد من نير الاحتلال حيث تمكنت هذه الحملة من طرد الفرسان في صائفة 1551 م/ 959 هـ . [7]

---

[1] محمد الهادي الشريف ، مرجع سابق ، ص 88.

[2] بالنسبة للدول الأوربية خاض حربا انتصر فيها على البندقية و وقف مدافعا عن الجهاد البحري والتجارة البحرية أما مع العثمانيين فقد تدخل حمودة باشا لصالح الأسرة القرمانلية في طرابلس ورد الفرمان الذي أرسله الباب العالي القاضي بتنحية الأسرة من الحكم وتعيين علي برغل حاكما للبلاد وذلك في سنة 1794 م وقام بإرسال وفد إلى الأستانة للاعتذار فما كان من السلطان العثماني إلا أن تغاضى عن الأمر .و مع الجزائر كان يفكر في كيفية تخلص البلاد من التبعية لداياتها فكانت الفرصة سانحة مع مطلع القرن 19 م حيث تمكن من إلحاق هزيمة بالامحال الجزائرية في وادي صراط 1807 م. للمزيد عن ذلك أنظر: محمد الهادي الشريف، مرجع سابق ، ص ص87 - 91 .

[3] دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص 67 .

[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث ـ المغرب الأقصى ـ ليبية ـ ، منشورات جامعة دمشق ، (د.ت.)، ص ص 148 - 150 .

[5] نفسه ، ص ص 152- 154.

[6] نفسه ، ص 159 .

[7] نفسه ، ص ص 161- 163 .

- **عهد البكلربكي** [1] (1551- 1606 م): تميزت هذه المرحلة بتوطيد الحكم العثماني في المنطقة ، وقد تولى الحكم خلالها كل من مراد آغا إلى غاية 1555م/ 963 هـ، ثم طرغوت (درغوث باشا)الذي حسن من أوضاع الايالة فقد قام بتشجيع الأعمال البحرية والتي عادت بالايجاب على خزانة الايالة [2]. وبعد وفاة طرغوث في حصار مالطا 1565م أصبح لقب أمير الأمراء خاليا من مضمونه ومحتواه بسبب انصراف خلفاء طرغوث إلى اللهو والعبث مما سيؤدي إلى بروز ديوان الجند متحكما بدواليب السلطة فيما بعد[3] .

وفي ضل الفوضى التي سادت البلاد بعد وفاة طرغوث عين يحيى باشا الذي أعاد للإيالة نوعا من الاستقرار والهيبة لكن الفوضى ما لبثت أن دبت بعد وفاته بثورة أهالي غريان ضد حكم العثمانيين ولم تهدأ الأوضاع إلا بتولي قلج علي السلطة الذي أرجع البلاد إلى ما كانت عليه في زمن طرغوث.[4] لم يدم عهد الاستقرار مدة طويلة بسبب الثورات التي عمت أرجاء البلاد على عهد جعفر باشا ورمضان باشا وفي ضل هذه التوترات برزت قوة الجند مؤذنة بتغيير يمس السلطة بالايالة .[5]

- **عهد الدايات (1606-1711م)** : تميزت هذه الفترة بسيطرة الجند كما أشرنا حيث كان يتم اختيار الداي وهو ضابط من الانكشارية من طرف الديوان ، وقد شهدت هذه الفترة تشجيع الأعمال البحرية وتجارة الأجانب[6] ، وفي سنة 1611م /1020 هـ أبطل الداي صفر صفر السُنة التي سنها الديوان حيث انفرد بحكم البلاد وجمع السلطات بيده[7] لكن الانكشارية الانكشارية وبعد السياسة التعسفية لصفر داي وجهت وفدا إلى الباب العالي وقدمت معه تقريرا عن أعمال الداي فما كان من السلطان إلا أن أصدر أمرا بالتخلص من الداي فكان ذلك على يد خليل باشا في سنة 1615 م / 1024 هـ ،هذا وقد عين بعده حامد باشا ثم سليمان باشا الذي عرف بالحكمة والعدل [8] ، وقد شهدت فترة الدايات أوج قوتها من 1633-

---

[1] البكلربكي : أمير الأمراء.
[2] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص 169 - 171 .
[3] نفسه ، ص ص173 - 175 .
[4] نفسه ، ص ص 176 - 178 .
[5] نفسه ، ص ص 178 - 186.
[6] نفسه ، ص187 - 188 .
[7] نفسه ، ص 188.
[8] نفسه ، ص ص 190 -192 .

1633- 1672م وهي فترة تولي الداي محمد باشا الصاقزلي التي تميزت بالرخاء الاقتصادي والأمن والنشاط البحري وتنظيم الجيش ...لكن بطش هذا الداي سرع من اغتياله في سنة 1649م/ 1059 هـ وقد واصل خليفته عثمان ما أحدثه من تنظيمات إلى غاية وفاته في سنة 1672م/ 1083 هـ [1] لتدخل البلاد في الفوضى بسبب التنازع على الحكم [2].

- الأسرة القرمانلية (1711-1835م): بسبب ضعف ديوان الجند وبمجرد وصول أحمد القرمانلي إلى الدايوية استغل الفرصة ووطد نفوذه من خلال ضرب الانكشارية من جهة والقضاء على التمرد و العصيان الذي دب في البلاد من جهة أخرى وقد اعتمد في ذلك على الأهالي ،وقد استطاع الحصول على فرمان التولية من السلطان العثماني في سنة 1722م / 1032 هـ بلقب الباشا ، وما تجدر الإشارة إليه أن احمد المذكور قد قام بتوريث الحكم لأبنائه فحكم من بعده ابنه محمد ؛ وشهدت البلاد في هذه المرحلة من حكم الأب وابنه نوعا من الاستقرار الاقتصادي والمهابة الدولية حيث كانت الدول الأوربية[3] تخطب ود محمد باشا [4] .

لكن الأسرة القرمانلية دخلت في مرحلة من التقهقر والتراجع بسبب تولي علي باشا الحكم وهو صغير بالإضافة إلى الصراع الذي نشب بين أولاده فيما بعد حول الحكم مما انعكس سلبا على الأوضاع في البلاد فتحتم تدخل الباب العالي بعد إعلامه بالوضع المتردي بطرابلس من طرف الأهالي ، ومن بين الإجراءات التي قام السلطان العثماني إرجاعا للاستقرار إبعاد القرمانليين وتنصيب علي باشا (برغل) حاكما لطرابلس ، لكن الأسرة القرمانلية استنجدت بالتونسيين حيث أرجع حمودة الحسيني الحكم للأسرة.[5]

تمكن يوسف باشا القرمانلي بفضل حنكته ودهائه من استمالة الأهالي إلى جانبه والحصول على فرمان من السلطان العثماني في سنة 1796 م/ 1211 هـ لتوليته على الولاية ، وقد تميز عهده بقوة البحرية التي شكل بها تهديدا للدول الأوربية صديقة الدولة

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص 193- 200.
[2] عرفت هذه الفترة الحرجة تولي 42 دايا إلى غاية تولي الأسرة القرمانلية الحكم .
[3] جددت فرنسا معاهدة 1728 م كما وقعت بريطانيا معاهدة في سنة 1751م مكنتها من تحقيق امتيازات اقتصادية وسياسية ضخمة في البلاد .
[4] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص 208 - 212.
[5] نفسه ، ص ص213 - 219 .

العثمانية مما أحدث تباعدا بين الولاية والأستانة خاصة بعد التقارب الطرابلسي ـ الفرنسي ، وعلى الصعيد الداخلي شكلت بداية القرن 19 م/ 13هـ مرحلة عصيبة بسبب الثورات المتوالية من الأهالي [1] بسبب سياسة يوسف باشا التعسفية [2] ، ونظرا لعدم قدرته على التصدي للأحداث ولإعطاء الشرعية لابنه علي بسبب ثورة حفيده محمد بك قام يوسف باشا بالتنازل عن الحكم لابنه في سنة 1832م/ 1248 هـ .

لكن الأوضاع استمرت في التوتر حيث انقسمت البلاد بين مؤيدي علي ومؤيدي محمد بك وقد انجر على ذلك تدهور عام في البلاد وأمام تردي الأوضاع قررت الدولة العثمانية إنهاء حكم القرمانليين وإرجاع الولاية إلى الإدارة المباشرة حيث تم تعيين مصطفى نجيب باشا في سنة 1834م / 1250 هـ .[3]

د ـ المغرب الأقصى : مع مطلع الفترة الحديثة كان المغرب الأقصى تحت حكم الوطاسيين[4] الذين هيمنوا على حكم البلاد مع نهاية القرن9هـ/ 15م لكن سلطة الشرفاء كانت في تصاعد كبير بالموازاة مع ما آلت إليه البلاد من ضعف على جميع الأصعدة وخاصة بعد سقوط العديد من المدن في يد التحالف الأيبيري[5] ،وقد سرع هذا الوضع في بروز سلطة جديدة لتحكم البلاد .

ـ التجربة السعدية في حكم المغرب الأقصى : كان ابتداء العهد السعدي في حكم المغرب بمبايعة سكان سوس لعميد الأسرة أبو عبد الله محمد بمدينة تدسي في سنة 1510م/ 916 هـ

---

[1] من هذه الثورات : ثورة أهالي غريان 1803م، ثورة مدينة غدامس ...

[2] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص 220- 232.

[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ص 232 ـ 235 .

[4] الدولة الوطاسية : مرحكم الوطاسيين بمرحلتين مرحلة الوصاية (1420 ـ 1459 م)حيث كانوا حجابا على السلطان المريني عبد الحق بن أبي سعيد وقد حاولوا الاستئثار بالحكم لكن السلطان المذكور أبعدهم عن السلطة حيث قام بمجزرة في حقهم سنة 1459 م لكن فلولهم استطاعوا الرجوع للحكم في سنة 1471 م بعد مقتل السلطان المريني عبد الحق وبعد ان أبعدوا حاكم البلاد عبد الله الحفيد . لتبدأ المرحلة الثانية وهي مرحلة الحكم المباشر (1471 ـ 1554 م) . للمزيد عن ذلك أنظر : الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تح.: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ـ المغرب، 1955، ج3 وج4 . وكذا :مارمول كربخال، إفريقيا ، تر. : محمد حجي وآخرون ، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط ـ المغرب ، 1984 ج 1 وكذا : عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب ، بيروت ـ لبنان ، 2009 ، ج3 .

[5] المدن المحتلة : سبتة 1415م ، أصيلا 1471م ، مليلة 1497م ، من 1507 إلى 1513م تم احتلال مازكان ، أغادير... ، العروي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص ص432 -437 .؛ عمار بن خروف ، العلاقات السياسية ، مرجع سابق ، ج1 ، ص ص 47 ـ 48 .

[1] ، وذلك بعد النشاط الذي قام به أولاده حيث أقنعوا الناس بأنهم شرفاء حسينيون[2]، ومن ذلك الوقت بدأ نشاط السعديين لتقويض السلطة الوطاسية المنحصرة في شمال البلاد و قيادة حركة الجهاد ضد البرتغاليين من جهة أخرى.

ـ مرحلة البناء والازدهار (1511-1603م) : تعاقب على حكم الأسرة خلال هذه المرحلة سلاطين كبار أسسوا صرح الدولة السعدية بالمغرب ومن هؤلاء السلاطين نذكر أبو عبد الله الأعرج و محمد المهدي الذين وطدا حكم السعديين[3] ، لكنهما أدخلا البلاد في صراع سلالي على الحكم بعد أسر محمد المهدي لأخيه الأعرج ونصب نفسه ملكا على مراكش في سنة1544م/ 951 هـ والتي كانت تحت حكم أخيه[4] ، وقد أكمل المهدي طموحاته في حكم البلاد بأن دخل فاس مرتين الأولى سنة 1548م/ 955 هـ[5] لكن أبى حسونة الوطاسي أخرجه منها بمساعدة الأتراك في سنة 1554م/ 962 هـ [6] غير أن وجود الأتراك لم يدم طويلا فتمكن المهدي من دخول فاس وبذلك انتهى العهد الوطاسي.

وقد واصل خلفاء محمد الشيخ المهدي ما بدأ به حيث قام خليفته عبد الله الغالب بالله بالتصدي لمحاولة عثمانية بقيادة حسن بن خير الدين لدخول البلاد في سنة 1557م/ 965 هـ حيث أجبرهم بالرجوع بعد هزمهم بوادي اللبن[7]، ولعل أهم انجاز قام به السعديون على على عهد عبد الملك هو التصدي للبرتغاليين في معركة وادي المخازن 1578 م/ 986 هـ [8] . بعد هذا التاريخ دخلت الدولة السعدية عصرها الذهبي بتولي أحمد المنصور الحكم حيث حيث قام هذا الرجل بتنظيمات طالت الإدارة والجيش كما أنه قام بحملة على بلاد السودان

---

[1] الوفراني ، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تصحيح: هوداس ، باريس ، 1888، ص16 .
[2] مارمول كربخال ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 450.
[3] من انجازات الأخوين : إخضاع مدن: تيوط ، تفارست ، تدسي ، تارودنت ، مراكش كما حصلا على اعتراف من الملك الوطاسي أبو العباس عرف بصلح آنماي 1536م حيث يكون الشمال من درنة للوطاسيين والجنوب من درنة للسعديين . عمار بن خروف ، العلاقات السياسية ،مرجع سابق ، ج1، ص ص 52- 53 وقد قام محمد الشيخ بفتح ميناء أغادير 1541م . الوفراني ، مصدر سابق ، ، ص 41 .
[4] نفسه ، ص ص 27 - 28 .
[5] العروي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 457.
[6] الوفراني ،مصدر سابق ، ص 30.
[7] الناصري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 39 .
[8] الوفراني ، مصدر سابق ، ص ص 73-77. وكذا: الناصري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص ص 69 -86.

الغربي در بها العديد من الأموال على خزينة الدولة [1]، وبوفاة المنصور في سنة 1603م/ 1012 هـ دخلت الدولة في مرحلة أخرى نحو الانهيار.

ـ مرحلة التقهقر والانهيار (1603-1659م): بعد وفاة المنصور دخلت الدولة في متاهة حيث تصارع أولاده على الحكم[2] مما ادى إلى تكون إمارات مستقلة عن السلطة المركزية كـ : إمارة الدلائيين بالأطلس[3] وإمارة السملاليين بسوس[4] و جمهوريات حرة كـ : سلا وتطوان [5] بالإضافة إلى بروز حركات كـ : حركة أبي محلي و الحركة العياشية وبذلك تحولت البلاد إلى فسيفساء سلطات دينية قبلية تتقاسم الأقاليم وتتطلع إلى افتكاك المبادرة السياسية [6] بعدما فقدها السعديون وفي ظل هذه الأوضاع برزت قوة اعتمدت هي الأخرى على النسب الشريف لتدخل في صراع مع السلطات الأخرى من أجل العرش المغربي .

ـ الأشراف العلويون وحكم المغرب: تمكن العلويون بعد حروب كثيرة من الاستحواذ على السلطة بالبلاد ثم انصرفوا إلى تسيير شؤون الدولة، فاهتموا بالجانب العسكري لضمان هيبة الدولة فتم تأليف فرق في الجيش العلوي كجيش الشراقة في عهد المولى الرشيد (1664-1671م)[7]وجيش الأودايا وعبيد البخاري في عهد المولى اسماعيل(1671-1727م)[8] كما اهتموا كذلك بقضية الثغور فقد قام اسماعيل العلوي بفتح المدن التي كانت ترزخ تحت نير الاحتلال الأجنبي فقام بفتح المهدية 1681 م /1092هـ ، ثم طنجة 1683م/1095هـ ، فالعرائش 1688م / 1100 هـ[9] ، وقد أخذ المولى اسماعيل ـ الذي يمثل عهد القوة العلوية ـ،على عاتقه توحيد المغرب بالقضاء على الثورات المتوزعة

[1] الوفراني ، مصدر سابق ، ص ص 88 ـ 89 وكذا الناصري ، مصدر سابق، ج 5 ، 121 ـ 125 .
[2] استقل محمد الشيخ المأمون بحكم فاس واخوه زيدان بحكم مراكش .
[3] برز الطموح السياسي للزاوية الدلائية على يد الشيخ محمد الحاج الدلائي . للمزيد عن نشاط الدلائيين العلمي والسياسي أنظر : محمد حجي ، الزاوية الدلائية و دورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط ـ المغرب : 1964.
[4] أسس هذه الإمارة أبو حسون السملالي المعروف بأبي دميعة .
[5] العروي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 494.
[6] عن تمركز هذه الإمارات أنظر ملحق رقم : 1 .
[7] الناصري، مصدر سابق ، ج7، ص ص41 ـ 42 .
[8] نفسه ، ص ص 50 ـ 52 ، ص ص56 ـ 57 .
[9] نفسه ، ص 63،67، 73.

هنا وهناك كثورة ابن محرز ، ثورة غيلان وأسرة النقسيس وثورات بربر الأطلس الأوسط وجبل فازار آيت عطا [1] .

غير أن الاستقرار لم يدم طويلا بالمغرب فبمجرد موت المولى إسماعيل سنة 1727م / 1140 هـ حتى دخلت البلاد في مرحلة عرفت بفوضى الثلاثين عاما (1727-1757م) والتي عرف المغرب خلالها تحكم الجيش ـ العبيد والاودايا ـ،في الأمور السياسية والاقتصادية للبلاد، استطاع المولى محمد ابن عبد الله (1757-1790م) أن يستدرك الوضع باستمالة بعض القبائل [2] ثم الجيش إلى صفه وبذلك استطاع أن يرجع الأمن للبلاد [3]. أما خليفته المولى يزيد فلم تتجاوز مدة ولايته السنتين(1790- 1792م) أعاد فيها البلاد البلاد إلى ما كانت عليه من فوضى وبوفاته فتح الباب لصراع الأخوة من أجل الجلوس على العرش العلوي[4] والذي انتهى بتقلد المولى سليمان الحكم .

وفي عهد المولى سليمان شهدت البلاد نوعا من الاستقرار خاصة في الفترة (1805-1810م)[5] لكن ذلك لم يدم طويلا بسبب ثورة البربر[6] من جهة ، وثورة الشراردة من جهة أخرى[7] والتي أضعفت الدولة كثيرا مما جعل المولى سليمان يعتزل السياسة ويترك الأمور بيد ابن أخيه المولى عبد الرحمان[8] .

كانت هذه نظرة موجزة عن الواقع السياسي لدول شمال إفريقيا في الفترة الحديثة ؛ وبما أن الموضوع يتحدث عن الحضور المغاربي في الجزائر فسنحاول من خلال هذا

---

[1] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص 86 ـ 88.
[2] من هذه القبائل : قبائل الحوز، عبده ، أحمر ، الرحامنه .
[3] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق ، ص ص103-110.
[4] كان الصراع بين المولى هشام، المولى مسلمة، المولى سليمان ، المولى عبد الرحمان واستمر هذا الصراع حوالي ست سنوات.
[5] محمود علي عامر ومحمد خير فارس، مرجع سابق، ص 121.
[6] سبب هذه الثورة فرض السلطان للقائد محمد أوعزيز على القبائل التي رفضت الانصياع له .
[7] قبيلة عربية حركها أحد المرابطين وهو المهدي الشراردي الذي كان يميل إلى الدجل فألب قبيلته على السلطان الذي انتهج سياسة عدائية ضد الشعوذة والدجل .
[8] للمزيد عن التطورات التي عرفها المغرب الأقصى في عهد المولى سليمان أنظر : محمد المنصور، المغرب قبل الاستعمار ـ المجتمع والدولة والدين (1792 ـ 1822) ـ ، تر.: محمد حبيدة ، ط 1، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب ، بيروت ـ لبنان، 2006.

العنصر إلقاء نظرة على علاقة الجزائر بالحكومات المغاربية خلال العهد العثماني وذلك لمعرفة مدى تأثير السياسة على العلاقات البينية للمغاربة.

2 ـ العلاقات السياسية الجزائرية ـ المغاربية بين التنافر والتجاذب :

شهدت العلاقات السياسية المغاربية خلال الفترة الحديثة تجاذبا وتنافرا بين الحكام وقد تغيرت هذه العلاقات وفقا للواقع السياسي لهذه الدول ؛حيث مادام عدم التدخل في شؤون البلد الآخر ساد الوفاق بين الساسة وإن تم العكس ساد التنافر بينهم. فما هي الأمور التي أزمت العلاقات بين الحكام الجزائريين و نظرائهم المغاربة ؟ وما هي صور التجاذب بينهم ؟ .

أـ صور التنافر بين الحكام الجزائريين والمغاربة : عرفت العلاقات السياسية للحكام الجزائريين مع نظرائهم المغاربة نوعا من التنافر لأسباب منها في بعض الأحيان قضية الحدود بين البلدان ، ومنها كذلك الاختلاف الإيديولوجي خاصة بين الجزائر والمغرب الأقصى .

وفيما يخص مشكلة الحدود فقد كان ذلك سببا في اندلاع حروب منها التي اندلعت بين الجزائر وتونس في القرن 17 م / 11هـ حيث كان الطرفان الجزائري والتونسي قد وقعا لأول مرة في سنة 1614- 1615م/ 1023 هـ على معاهدة لتحديد الحدود حيث جعل وادي صراط حدا فاصلا بين البلدين[1]

---

[1] Mercier ,Op. Cite , p p 220 –221 . Ernest

وقد تم ذلك بحضور : حسين باي ، فرحات باي ، القائد يوسف بن اسكندر ، القائد رجب بن حسين ...عن الجزائر و سليمان باشا ، أبو محمد بن أبي الربيع ، أبو القاسم البرشكي ... عن تونس . الوزير السراج ، الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، تح.: محمد الحبيب الهيلة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1973، ج 2، القسم 1، ص ص 177 - 178 .

لكن الاتفاق لم يدم طويلا فقد اندلعت حرب بين البلدين في سنة 1628 م / 1038 هـ [1] وعبر عنها بعام السطارة [2] ، وانتهى الصراع بتوقيع معاهدة أخرى [3] حيث أرغم الطرف التونسي على الالتزام ببنود المعاهدة جاءت هذه البنود كالتالي :

- اعتبار وادي صراط حد فاصل بين البلدين .

- تهديم التونسيين للمراكز العسكرية في المناطق المتنازع عليها .

- يتواصل تحديد الحدود بين البلدين من وادي ملاق ابتداء من نقطة الأحيرش إلى الكرش فقلوب الثيران وراس جبل الحافة ، ومن هناك إلى البحر .

- اعتبار الأشخاص الذين يعبرون الحدود من أي البلدين متخلين عن بلدهم ويدخلون في البلد الذي اختاروا الاستقرار فيه.[4]

وكذا كان الحال بين الجزائر والمغرب ذلك أن الحكام المغربيين كانوا قد وجدوا قاعدة شعبية لهم بتلمسان نظرا للعلاقات التاريخية بين المدينة والحكام المغربيين [5] .وقد أدى ذلك إلى تدخلات من الطرفين في المجال الجغرافي للآخر حيث شنت حملات متكررة من الحكام السعديين لاحتواء تلمسان[6] وكانت هذه الحروب تنتهي بعقد معاهدات من أجل تحديد الحدود بينهما ، فبعد حملة محمد الشيخ أبرمت معاهدة لتحديد الحدود عرفت بمعاهدة ملوية والتي نصت على جعل واد ملوية حدا فاصلا بالإضافة إلى عدم التدخل في شؤون الآخر أو

---

[1] نور الدين عبد القادر ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر - من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني - ، دار الحضارة ، بئر توتة - الجزائر، [2006]، ص 129 .

[2] السراج ، مصدر سابق ، 176 .

[3] كان ذلك بحضور : الغرياني ، ابراهيم الجديدي ، أحمد خوجة ، الشيخ مصطفى مرجع سابق ، عن تونس ، أحمد بن الحاجة ومجموعة من الفقهاء .. عن الجزائر . السراج ، الحلل السندسية ، مصدر سابق ، ج 2 ، القسم 1 ، ص ص 177 - 179 ؛ الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تح.: أبو القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ،1987، إ. مح. ، ص ص 216 - 217 .

. العنتري ، تاريخ قسنطينة ، تقديم : يحيى بوعزيز ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون - الجزائر ، ص 35 .أنظر كذلك : السراج ، الحلل الحلل السندسية ،مصدر سابق ، ج2 ، القسم 1 ، ص ص 178- 181 وكذا : Mercier,Op.Cite . p 222. Ernest

[5] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص 54 .

[6] نذكر منها : محاولة محمد االشيخ الذي أرسل ابنيه الحران وعبد القادر واستولى على المنطقة حتى واد شلف . الوفراني ، مصدر سابق ، ص ص29 ، 36 .

التحالف مع العدو ضد الطرف الآخر غير أن السعديين لم يلتزموا بهذه المعاهدة وذلك بعد التحالف السعدي ـ الاسباني [1] ضد العثمانيين بالجزائر .[2]

وفي العهد العلوي عرف الصراع أوجه حيث قام الحكام العلويون بحملات على الغرب الجزائري على غرار حملة محمد الشريف[3] والتي انتهت بعقد معاهدة تخلت الجزائر بموجبها على الأراضي الموجودة غربي تافنة لصالح المغرب[4] ، ولم يتوقف الطموح العلوي عند هذا الحد فقد قام المولى إسماعيل بحملات على الجزائر من أجل بسط نفوذه ومن هذه الحملات : الحملة التي وصلت حتى مشارف واد الشلف بمساعدة بني عامر، وانتهت بالصلح واعتبار التافنة حدا فاصلا في سنة1678 م/ 1089هـ[5]. كما أنه وصل في إحدى حملاته إلى بلاد الزاب[6] ،كما أنه تحالف مع حكام تونس حيث كان على اتفاق مع مع محمد باي (1675-1696م) فوجه الملك العلوي حملة لردع بني عامر والذين كانوا مترددين في الولاء تارة للأشراف وتارة للأتراك وقد أسفرت هذه الحملة على انهزام العلويين لذلك طلب المولى الصلح فتم عقد معاهدة وجدة والتي جاء في بعض بنودها :

- اعتراف المولى اسماعيل بواد ملوية حدا فاصلا بين البلدين .
- تتوقف الاعتداءات والتحرشات العسكرية بين البلدين
- على المولى اسماعيل أن يدفع ضريبة للداي .[7]

وقد استمر النزاع على الحدود الغربية الجزائرية ففي سنة 1700م/ 1112هـ قام المولى زيدان بحملة وصلت حتى معسكر[1] وذلك بعد اتفاق بينه وبين مراد بك (مراد بن علي) على مهاجمة الجزائر في وقت واحد[2] لكن هذه الحملة باءت بالفشل.

---

[1] تم هذا التحالف في عهد محمد الشيخ وعهد ابنه عبد الله الغالب .
[2] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ،ص 57 - 58.
[3] وصلت هذه الحملة إلى الأغواط وعين ماضي . أنظر: الناصري ، مصدر سابق ، ،ج 7 ، ص ص 20- 21 .
[4] الناصري ، مصدر سابق ، ج 7 ، ص 26 . وكذا: حنيفي هلايلي ،مرجع سابق ، ص 60.
[5] الناصري ، مصدر سابق ، ج 7، ص ص 59-60. وكذا : نور الدين عبد القادر، مرجع سابق ، ص 130.
[6] الوفراني ، مصدر سابق، ص 305. للمزيد عن حملات المولى اسماعيل على الجزائر أنظر : الناصري ، مصدر سابق ، ج7 ، ص ص 64 ،88 - 89 - 90 وكذا : عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص ص437 - 445 .
[7] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص ص 62- 63.

وقد أدى الصراع على الحدود إلى ظهور محاولات لزعزعة الاستقرار من خلال دعم الثورات الداخلية فقد دعم الأتراك بالجزائر ابن محرز الذي ثار على عمه المولى إسماعيل العلوي سنة 1681م/ 1092هـ ردا على تطلع المولى اسماعيل لتوسيع الحدود الشرقية لبلاده.[3]

ب ـ صور التجاذب : لم يكن التنافر هو ميزة العلاقات الجزائرية المغاربية كما أشرنا فقد كانت هناك بعض مظاهر التوافق ومن هذه المظاهر نجد اللجوء السياسي حيث كانت الجزائر وجهة لبعض الساسة من المغاربة ، كما كان التعاون العسكري مظهرا آخر من مظاهر التجاذب بين الساسة المغاربة .

فبالنسبة للجوء السياسي دخل العديد من المغاربة الجزائر كلاجئين استصراخا بحكام الجزائر من أجل إرجاعهم إلى ما كانوا عليه في السابق ومن بين الشخصيات التي دخلت الجزائر خلال القرن 16 م/ 10 هـ [4]؛ نجد السلطان الحفصي الرشيد والذي لجأ إلى خير الدين باشا من أجل نصرته على أخيه الحسن الحفصي لكن النصرة لم تتم لأن الحسن المذكور لجأ إلى رأس الدولة العلية السلطان سليمان طالبا حمايته من باشا الجزائر فما كان من الأخير إلا أن أرسل في طلب خير الدين والرشيد وأبطل مشروع التحالف المتفق عليه بين الرجلين .[5]

---

[1] الناصري ، مصدر سابق ، ج7 ، ص 89.

[2] عزيز سامح ألتر ، مرجع سابق ، ص 452.

[3] الناصري ، مصدر سابق ، ج 7 ، ص ص64 ـ 66 .

[4] كان لجوء بعض الشخصيات السياسية عن طواعية وهناك من الشخصيات من فرض عليها التوجه للجزائر وذلك عقابا لها عما بدر منها من سلوكيات في المجال السياسي ومن هذه الشخصيات نذكر : صفر داي تونس الذي نفي ـ بعد نزاع مع عثمان داي على الدايوية بتونس ـ إلى الجزائر في سنة 1002 هـ / 1594 م وقد بقي بها مدة من الزمن ثم رجع إلى تونس بعد زوال ملك عثمان داي . أنظر: الوزير السراج ، مصدر سابق ، ص 155 وكذا : محمود مقديش ، نزهة الأنظار ، ج 2 ، ص 88= = كما قام أسطا مراد داي تونس ـ 1637 ـ 1640 م ـ بنفي أحمد بن يوسف إلى الجزائر عندما أحس بمؤامرة حاكها الأخير رفقة مامي كبير أعيان العسكر من أجل تولي الحكم بالبلاد . عنه انظر: الوزير السراج ، مصدر سابق ، ج2 ، القسم 1 ، ص 196 . ومن المغربيين المنفيين إلى الجزائر نجد جماعة الدلائيين الذين فرض عليهم السلطان الرشيد العلوي التوجه إلى تلمسان . محمد حجي ، مرجع سابق ، ص 235 .

[5] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج1 ، ص 608 .

وإن لم تنجح محاولة الحاكم الحفصي الرشيد إلا أن محاولة أولاد السلطان محمد الشيخ السعدي الثلاثة :عبد الملك و أحمد المنصور وعبد المؤمن[1] الذين فروا من بطش أخيهم الغالب [2] قد نجحت حيث لجؤوا إلى تلمسان ثم الجزائر فاسطنبول ، أين احتك الأخ الأكبر عبد الملك بالسلطان سليم الثاني والذي أرسله مع الحملة التي كلفت بفتح تونس[3] ثم كافأه على جهوده المبذولة خدمة للدولة العلية بأن أمر عسكر الجزائر بنصرة عبد الملك وإخوته [4]. وقد دخل عبد الملك فاس في أواخر سنة 1576م/ 984 هـ [5] رفقة عسكر الجزائر.

أما في القرنين المواليين فقد كان ميزة للجوء الحكام التونسيين[6] بسبب الصراع الذي دار على كرسي الحكم بين أفراد الأسرة الحاكمة ولعل أبرز مثال يمكن أن ندرجه عن القرن 17 م / 11 هـ هو صراع العائلة المرادية على تولي زمام الأمور بتونس حيث كان المنهزم في الصراع على الحكم يلجأ إلى الحكام العثمانيين بالجزائر ومن أبرز الأمثلة نذكر:استجلاب الداي أحمد شلبي 1683 - 1686م لمحلة من الجزائر في صائفة 1683 م/1094 هـ وذلك في إطار الصراع الدائر بينه وبين علي باي المرادي [7] ، وقد حاربت هذه هذه المحلة إلى جانب محمد باي المرادي حليف الداي المذكور[8] . وبعد وحشة بين

---

[1] عبد الله كنون ، موسوعة مشاهير رجال المغرب ، ط2، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني ، القاهرة - بيروت ، 1994 ، مـج.5 ، ج 5 .، ص ص 6 - 8 .

[2] رافقهم بعض المناصرين في خروجهم ذاك نذكر من بينهم : عبد الله الفاسي و عبد الرحمان المكناسي اللذين حضرا معهم معركة حلق الوادي بتونس . عبد الله كنون ، موسوعة مشاهير رجال المغرب ، مرجع سابق ، ص 9 . كما صحبهم كذلك ابن عمرو الشاوي . أنظر : عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، ط 2 ، (د. ن.) ، طنجة - المغرب ، 1960 ، ج2 ، ص 572 .

[3] كانت تلك المدة التي قضاها عبد الملك خارج بلده قد عملت عملها في تنشئته وتدريبه حيث أكسبته هذه الجولات والمشاهدات خبرة واسعة بجميع الشؤون الإدارية والعسكرية.أنظر : عبد الله كنون ، النبوغ المغربي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 235 - 236 .

[4] عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب ، مرجع سابق ، ص ص 8 - 10 .

[5] نفسه ، ص 11 .

[6] لم يكن ذلك حصرا على التونسيين فهناك نماذج عن استنجاد المغربيين بحكام الجزائر ومن ذلك نذكر محاولة الدلائيين بمنفاهم الاستنجاد بالعثمانيين حيث فاتح أحمد بن أحمد الدلائي ت 1091 هـ حكام الجزائر بمساعدته على إمارة المغرب الأقصى لكن العثمانيين لم ينصروه وربما بسبب انشغالهم باخماد الثورة التي اندلعت بتلمسان - في سنة 1085 هـ / 1674 م أنظر : القادري ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تح. : محمد حجي و أحمد التوفيق ؛ ضمن : موسوعة أعلام المغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1996 ، ج 4 ، ص 1651 .

[7] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 123 .

[8] نفسه ، ص ص 125 - 126 .

الحليفين شلبي و محمد باي تصالح الأخوان محمد وعلي باي واستنجادا بحكام الجزائر وعوضوا شلبي بالداي الحاج بقطاش .[1]

أما خلال القرن 18م/ 12هـ فكان الصراع على أشده بين أفراد العائلة الحسينية فقد لجأ علي باشا إلى الجزائر بعد إبعاده من الحكم سنة 1729 م/ 1142 هـ [2] وكسب العرش بفضل مساعدتهم ثم تدخلت الجزائر لصالح أبناء حسين بن علي بعد خروج علي باشا عن طاعتهم فقاموا محاولتين لخلع علي باشا الأولى سنة 1746م/ 1159 هـ ثم 1756م/ 1170 هـ أين تم القضاء على حكم علي باشا وتنصيب محمد بن حسين بن علي .[3]

أما الصورة الأخرى والتي سنورد نماذج عنها فهي التعاون وتبادل الخبرات[4] حيث قام قام المولى محمد بن عبد الله العلوي باستجلاب صناع السفن، فمن الجزائر: محمد المستغانمي و أحمد القسنطيني و أحمد بن قلوعة ، ومن تونس: الصابونجي وابن القاسم وولد رمضان وولد المنجي ومحمد التونسي، أما من طرابلس فكل من الرئيس يوسف الطرابلسي ، قدور بن معروف[5].

هذا وكان الحكام المغاربة يطلبون من بعضهم المساعدة إن حل ببلدانهم مصاب ففي مطلع القرن 19م/13هـ وبعد تعرض الجزائر لحملة اكسموث1816م/ 1232هـ وما نجم عنه من تحطم لقطع من الأسطول أرسل الداي عمر يطلب المساعدة العسكرية من جيرانه المغاربة حيث أرسل سفارة إلى ملك المغرب ـ آنذاك المولى سليمان ـ على رأسها قاضي

---

[1] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 128 ـ 129 ، ص ص 123 ـ 132 .

[2] نفسه ،ج2 ، ص 159 .

[3] نفسه ،ج2 ، ص ص 164 ـ 165 .

[4] قام بعض الحكام المغاربة باستقدام جنود من الجزائر ودمجهم في الجيش المحلي ومن ذلك : عسكر زواوة بتونس الذين استقدموا من منطقة القبائل الجزائرية حيث يرجع استخدامهم إلى العهد الحفصي لكن حمودة باشا المرادي هو من أعادهم للخدمة . كما نجد أن محمد الشيخ السعدي اعتمد على جند الترك من الجزائر وأدمجهم كحراس له ، كما وجدت هذه العناصر موقعا لها في دولة عبد الملك السعدي تحت مسمى جيش النار . للمزيد أنظر : دلندة الأرقش ، مرجع سابق ، ص ص153- 163 .
وبالاضافة إلى هؤلاء قام المولى الرشيد العلوي باستحداث جيش الشراقة وهو مؤلف من قبائل أحواز تلمسان . الناصري ، مصدرسابق ، ج7 ، ص ص 41- 42.

[5] الزياني ، الترجمانة الكبرى ـ في أخبار المعمور برا وبحرا ـ ، تح.:عبد الكريم الفيلالي ، ط 2 ، دار نشر المعرفة ، الرباط ـ المغرب ، 1991، م. مح. ، ص 17 .

الحنفية محمد العنابي، فأرسل ملك المغرب مركبين كما أعطاه أموالا وأمره بتسليمها للمجاهدين ، أما أمير طرابلس يوسف باشا فقد بعث بلاكرة [1] كإعانة للجزائر.[2]

بالإضافة إلى التعاون وطلب المساعدات كان رياس البحر ينسقون العمل الجهادي ويجعلون موانئهم خدمة لبعضهم البعض؛فقد كان مجاهدو البحر الجزائريين يرسون بتطوان ليتزودوا بالمؤن ثم يكملوا غزوهم للسواحل المسيحية.[3] وكذا الحال بالنسبة لميناء سلا حيث كان هذا الميناء مفتوحا للرياس الجزائريين العاملين في المحيط الأطلنطي ليتزودوا منه و يحتموا به من العواصف أو مطاردة الأعداء كما كانوا يحملون إليه غنائمهم ليبيعوها هناك وفي الجهة الأخرى كانت الموانئ الجزائرية تستقبل مراكب المجاهدين من سلا و تطوان[4]. وما يعزز هذا التعاون هو ما قام به حمودة باشا تونس ت 1666 م/ 1077هـ حيث قام بفك المراكب الجزائرية التي أخذها النصارى وخلص الأسرى من أيديهم .[5]

إذن نلاحظ من خلال هذه النماذج أن العلاقات المغاربية لم يكن التوتر سمتها الأساسية حيث وإن وجد الاختلاف في أمور فقد وجد التقارب في أخرى ، وهذا ما سمح في كثير من الأحيان بالإحساس بالمصير المشترك بين الحكام فهل تم هذا الإحساس بين الشعوب المغاربية آنذاك ؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه .

---

[1] البلاكرة أو البولاكر نوع من أنواع السفن المستعملة للتجارة .
[2] الشريف الزهار، مذكرات ، تح.: أحمد توفيق المدني ، ط 2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1980، ص 127 .
[3] كاربخال ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 223 .
[4] محمد حجي ، مرجع سابق ، ص 236 .
[5] الوزير السراج ، مصدر سابق ، ج 2 ، القسم 1 ، ص 261 . أنظر كذلك : محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 103 .

الفصل الأول :

المغاربة في الجزائر والتواصل الاجتماعي

1 ـ حركة المغاربة ضمن الإطار الجغرافي الجزائري .

2 ـ الجاليات المغاربية في الجزائر خلال العهد العثماني .

3 ـ المغاربة في المجتمع الجزائري .

بعد إلقاء نظرة على الواقع السياسي لبلدان شمال إفريقيا وبعد أخذ فكرة عن العلاقات السياسية للجزائر مع الحكومات المغاربية ، سنتعرف خلال هذا العنصر على حركة المغاربة ضمن الإطار الجغرافي الجزائري فرادى وجماعات ، كما سنتطرق لحياة المغاربة الذين فضلوا الاستقرار في الجزائر محاولين إلقاء نظرة على حياتهم وعلاقاتهم بالجزائريين من خلال إدراج بعض النماذج عن صور التواصل الاجتماعي المغاربي بالجزائر .

1 ـ حركة المغاربة ضمن الإطار الجغرافي الجزائري :

انتقل المغاربة إلى الجزائر خلال العهد العثماني، وما كان انتقالهم ذاك إلا امتدادا تاريخيا لفترات سابقة ، وتعد : ثلاثية الجوار ، التجارة ، والعلم من أهم المحفزات للمغاربة للتنقل إلى الجزائر[1] ؛ وما تجدر الإشارة إليه أن الجزائريين أيضا قد انتقلوا إلى البلدان المجاورة الأخرى ولنفس الأسباب [2].

وقد شهدت الجزائر انتقال المغاربة أفرادا وجماعات على شكل هجرات ؛ فالأفراد انتقلوا للمحفزات المذكورة آنفا وقد استقرت بعض العائلات المغربية في التراب الجزائري حيث اختارت كل منها منطقة لتستوطن بها ؛ ففي منطقة وادي سوف مثلا استقر رجل من المغرب الأقصى يدعى: سيدي عون بن مهلهل ت 1781م / 1195 هـ وقد أسس الرجل

---

[1] غطاس عائشة ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700- 1830) ـ مقاربة اجتماعية اقتصادية ـ ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الرويبة ـ الجزائر، 200 ، ص 34

[2] تشير بعض وثائق المحاكم الشرعية بالأرشيف الوطني الجزائري إلى تنقل الجزائريين في بلدان شمال إفريقيا ولنا أن نذكر وثيقتين وردتا في العلبة رقم 58 الوثيقة الأولى تحمل رقم 41 ، م 2 تحدثت عن عائشة بنت الحاج الحسن الجزائرية المستقرة بثغر تطوان . أما الوثيقة الثانية فتحمل الرقم 193 ، م 6 ، تحدثت عن تاجر جزائري اسمه : أحمد بن محمد الحرار بمحروسة تونس . كما وردت وثيقتان بالعلبة رقم 17 ، الأولى : م 1 وهي تحت رقم 181 حيث جاء فيها توكيل عل ممتلكات الحاج خليل بن محمد الجزائري رئيس مرسى حلق الوادي بمحروسة تونس للسيد الحاج علي البجاوي ريس مرسى الجزائر المحروسة على جميع أموره والإشراف على أملاكه بالجزائر وذلك في سنة 1233 هـ . وللإشارة فقط أن هذه الوثيقة قد صدرت عن عدالة تونس وهي مؤرخة بتاريخ 19 ربيع الأول من عام 1253 هـ ومحتوى هذه الوثيقة كاملا هو تطور هذه الوكالة إلى ما بعد وفاة الريس خليل بن محمد المذكور . كما وردت وثيقة أخرى م2 ، تحت رقم 24 وهي مؤرخة بسنة 1257 هـ جاء فيها رسم توكيل السيد حميدة بن السيد مَحمد واضح على ممتلكات ، وقد وكّل هذا الرجل على النظر في شؤون ولدين غاب والداهما وهما السيد حسن بن السيد محمد ابن الحاج الغايب ببلد تطوان و نفيسة بنت الحاج مصطفى الغايب ببلد تونس .

أسرة بعد زواجه من امرأة بالمنطقة وكثر نسله حتى سمى أهل المنطقة القرية التي استقر بها بقرية سيدي عون .[1] وبنفس المنطقة استقر سيدي عون بن خزان بقرية الدبيلة [2] وكذا كان الأمر بمنطقة القبائل حيث اختارت بعض العائلات الاستقرار بها فأسلال عبد الرحمان الأزهري ـ مؤسس الطريقة الرحمانية ـ مثلا من أصول مغربية.[3]

أما الجماعات فكان انتقالهم إما بحثا عن الأمن والاستقرار أو بحثا عن النجوع[4] أو للاسترزاق ، فبحثا عن الأمن هربت مجموعة من الأهالي التونسيين من بطش العساكر التونسية مع نهاية القرن 18 م / 13 هـ حيث اختارت الاستقرار بجنوب منطقة تبسة .[5]

هذا وقد كانت بعض الجماعات من الأعراب تتنقل بحثا عمن يوظفها خدمة له كما هو الحال بالنسبة لأولاد السرّاق مثلا والذين كانوا يقطنون في الأقاليم المغربية المتاخمة للحدود الجنوبية الغربية [6] للجزائر غير أنهم يتوجهون دائما نحو الشمال وبالضبط إلى تلمسان أين يعرضون خدماتهم على الحكام هناك ؛ وحتى أنهم حاربوا إلى جانب الأتراك بتلمسان [7] .

وفيما يخص البحث عن النجوع فقد تحدثت بعض المصادر عن حركية بعض القبائل في بداية الفترة الحديثة ـ القرن 16 م / 10 هـ فالحسن الوزان يتحدث عن نجوع قبائل الحدود الغربية للجزائر والمكلفة بحماية الطريق المؤدية من تلمسان إلى فاس إلى داخل الجزائر في فصل الشتاء.[8] وهناك قبائل أخرى بحثت عن النجوع على غرار أولاد خراج [9] والتي

---

[1] محمد الساسي إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، تعليق : الجيلاني بن إبراهيم العوامر ، ط 2 ، منشورات ثالة ، الأبيار- الجزائر ، 2009 ، ص ص 413 - 414

[2] نفسه ، ص 411

[3] Louis Rinn, Marabout et Khouans –Etude sur l'Islam en Algerie ,Adolphe Jourdan ,Libraire –éditeur , Alger 1884, p 452

[4] النجوع : مصدر من الفعل نجع أي طلب الماء أو شربه وطلب الكلأ . والمقصود من هذا المصطلح هنا هو التنقل بحثا عن الرزق .

[5] Mercier ,Op.cit , p 277 . Ernest

[6] سكنت هذه الجماعة بمنطقة بني كومي التابعة آنذاك للإقليم المسمى طاطا والمجاور لإقليم سجلماسة المغربيين .

[7] مارمول كربخال ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 160 . لم يذكر المصدر الجهة التي حاربتها هذه القبيلة مع الأتراك وربما يكون هذا التحالف في إطار توطيد حكم العثمانيين بالغرب الجزائري .

[8] الحسن الوزان ، وصف افريقيا ، تر. : محمد حجي و محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 1983 ، ج2 ، ص 11 .

[9] فرع من فروع قبيلة ذوي عبيد الله .

والتي كانت تقطن في صحاري بني كومي و فجيج في فصل الشتاء ، وتتجه في فصل الصيف نحو تلمسان [1] .

أما في الشرق الجزائري فهناك العديد من القبائل والجماعات دخلت الحدود في هذه الفترة أو بزمن قصير قبل دخول العثمانيين للمنطقة ، حيث استقرت قبائل بالتراب الجزائري كان نجوعها سابقا في التراب التونسي؛ ومن القبائل المستقرة بالشرق الجزائري نذكر نموذجا عن تنقل قبيلة أولاد بلال التي كانت تقطن خلال القرن 14م / 8 هـ بطرابلس ثم انتقلت إلى تونس[2] حيث استقرت خلال القرن 16م/ 10هـ بمنطقة باجة [3] ، وكانت هذه القبيلة تتجه في كل مرة نحو الغرب في هجرتها ليستقر بها المطاف في غرب قسنطينة بسهل حمزة في فترة الاحتلال الفرنسي .[4]

وهناك من الجماعات من تعرضت للنفي كما هو الحال بالنسبة للدلائيين ففي إطار الصراع الدائر بينهم وبين الدولة العلوية الناشئة اختيرت تلمسان كمنفى لهم في عهد المولى الرشيد وكان خروجهم سنة 1669 م / 1080 هـ حيث خرج محمد الحاج الدلائي وعشيرته الأقربون ونزلوا بحرم العباد و قد بقي الدلائيون خمس سنوات بتلمسان[5] إلى حين حين صدور العفو من طرف المولى اسماعيل العلوي الذي سمح لهم بالعودة إلى المغرب الأقصى .

2 ـ الجاليات المغاربية في الجزائر خلال العهد العثماني :

كثيرا ما يفضل الأفراد الاستقرار في مناطق يجدون فيها نوعا من التلاؤم مع ممارساتهم اليومية من جهة ومع أمنهم الذاتي من جهة أخرى ، ومدينة الجزائر خلال العهد

[1] مارمول كربخال ،مصدر سابق ، ج 1 ، ص ص 108 - 109 . ، أنظر كذلك : الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 56 .

[2] Carette , origine et migrations des principales tribus de l'Algerie ,imp.imperale , p p 429 -430 .

[3] F . Elie de la Primaudaie : "documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique(1505 – 1574) " in R.A., N 21, p 216 -217 .

[4] Carette, Op.cit , p p 429 - 430 .

[5] محمد حجي ، مرجع سابق ، ص ص 235 - 236 .

العثماني شهدت حالة من الأمن والرخاء الاقتصادي أهّلها لأن تكون من بين أهم المدن المغاربية المستقطبة للجاليات من مختلف الجنسيات ؛ وقد كان يطلق على المدينة لفظ " كوزمو بوليتان " أي : المدينة الدولية بمعنى أنها جمعت في تركيبتها الاجتماعية أجناسا مختلفة [1]. وقد أكد سعد الله بأن " جميع الكتابات تؤكد أن مدينة الجزائر كانت من أشهر المدن أمنا لساكنيها "[2] .

ولنا أن نترك ابن المفتي يقدم وصفا عن أهمية المدينة خلال القرن 17 م/ 11هـ حيث قال : "... وكبرت بالجزائر البهجة و المسرات و الاجتماعات المفرحة والخيرات، وفاقت كل ما رأيناه حتى تلك الأيام ، لدرجة أنها صارت شبيهة ببلاد الشام ، ويضاف لها رخاء السلع وجودتها وصار يضرب المثل برخاء البلد ..." [3].

وللعوامل السابقة استقر المغاربة بمدينة الجزائر وكانوا من بين هذا النسيج الاجتماعي الذي تشكلت منه المدينة وفيما يلي سنتعرف على الجاليات المغاربية بمدينة الجزائر [4].

أ ـ الجالية التونسية ـ الجرابة أنموذجا ـ : شكل الجرابة [5] بمدينة الجزائر جالية معتبرة وذلك لعددهم الكبير مقارنة مع باقي المغاربة ففي الإحصاء الذي قدمه Venture عن سكان مدينة الجزائر خلال نهاية القرن 18م / 12هـ أدرج الجرابة من بين أهم المشكلين للمور[6] في المدينة حيث صنفهم بعد البساكرة و الزواوة و الميزابيين.[7] ولعل ما يميز

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1998، ص 172.

[2] نفسه ، ج 1 ، ص 173 .

[3] تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ، تح. : فارس كعوان ، ط1 ، بيت الحكمة ، العلمة ـ الجزائر، 2009 ، ص 67.

[4] ما تجدر الإشارة إليه أن الجزائريين أيضا استقروا بمناطق بالمغرب العربي فقد ذكر القادري أن التجار التلمسانيين كانت لهم عقارات : ديار وفنادق بمدينة فاس . نشر المثاني ، ضمن موسوعة أعلام المغرب ، ج 5 ، ص 2077.

[5] نسبة إلى جزيرة جربة التونسية .

[6] المور : مصطلح يطلق على سكان الجزائروهو مشتق من كلمة موريتانيا التي كانت تطلق على المنطقة سابقا .

[7] قدر المؤلف سكان الجزائر بـ : 50 ألف نسمة من بينهم 6 آلاف كرغلي ، 3 آلاف تركي ، 7 آلاف يهودي ، ألفين أسير وآخرين مسيحيون ، 32 ألف مور من بينهم : البساكرة ، الزواوة و الجرابة .
Venture De Paradis , Alger au 18^{e}.siecle ,edite par : E. Fagnan ,Alger : 1898, p 3 .

الجرابة عن غيرهم من الجاليات هو التنظيم الذي انضوت تحته الجماعة وقد اعتُبر تنظيما استثنائيا [1] على خلاف باقي الجاليات المقيمة بالمدينة .

والاستثناء الذي ميز الجرابة كونهم لهم وعليهم ما للجماعات الحرفية ، حيث كانوا يدفعون ضرائب لخزينة الدولة ، فقد قدم أمين الجماعة 500 صايمة في سنة 1691 م/ 1103 هـ كمقدار لضريبة البشماق التي كان على التنظيمات الحرفية دفعها سنويا [2]، وبالإضافة إلى ذلك كان عليهم دفع مبلغ عن ضريبة الضيفة [3] ، حيث كانوا يدفعون " 5 إلا إلا ربع ريالا .. " [4] ؛ وكان عليهم كذلك الدخول في تنظيم الحراسة بالمدينة ففي سنة 1695 م / 1107 هـ - على عهد الداي بابا حسن - فرض على الجرابة المساهمة بسبعة نوبات للحراسة [5] .

ويبدو أن الضرائب المفروضة على الجماعة كانت راجعة للعدد الكبير للجماعة و كذا لأهميتهم بالمدينة ، والدلائل على أهمية العنصر الجربي هي امتلاكهم لسوق عرف باسمهم " سوق الجرابة " وهو من أسواق السلع والمواد الغذائية [6] ، وكذا لفندق[7] عرف باسمهم [8] [8] وقد وجد أيضا نهج عرف بنهج الجرابة [9].

لعل أكبر دليل على أهمية الجرابة هو أمانة الجماعة حيث كان للجماعة أمين يسهر على تنظيمها وأمناء الجرابة الذين عرفوا هم: بوعزيز بن سليمان والذي تولى الأمانة

---

[1] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 44 .

[2] Tachrifat - Recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger -, Albert De Voulx ,imp. Des gouvernement , Alger : 1852, p 66 .

[3] ضريبة الضيفة : تقدم هذه الضريبة سنويا مع حلول العام الجديد وهي على شكل تبرعات إجبارية تدفعها بعض الجماعات . أنظر عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 186 .

[4] عبد الله بن محمد الشويهد ، قانون أسواق مدينة الجزائر، تح.: ناصر الدين سعيدوني ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، 2006 ، ص 116 . عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 187 .

[5] الشويهد ، مصدر سابق ، ص 112 .

[6] نفسه ، م. مح. ، ص 30 .

[7] الفندق : هو المكان الذي يتوجه إليه المسافرون ويحط به التجار رحالهم ، ويتخذون بعض غرفه مستودعات لبضائعهم و سلعهم . الشويهد ، مصدر سابق ، م . مح . ، ص 32 .

[8] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 217 .

[9] نفسه ، 44 .

أواخر القرن 17 م/ 11هـ ،و محمد بن شوش سنة 1703 م / 1115 هـ ، و الحاج عبد العزيز سنة 1704 م/ 1116 هـ ، والقاسم بن هنده في حدود 1751 م / 1165هـ ، والحاج عمر بن قاسم الجربي سنة 1785 م/ 1200 هـ .[1]

ب ـ الجالية المغربية : بالإضافة إلى التونسيين استقر المغربيون كذلك بالجزائر وقد دلتنا المصادر التاريخية على وجود عدد كبير من المغربيين ، ففي أواخر شهر رجب من عام 1700 م/ 1112هـ فرض الداي مصطفى(1700 - 1705م)على النصارى والصناع بمدينة الجزائر ضريبة [2] فكان على الفاسيين دفع مبلغ قدره "... مائتان وسبع وسبع وخمسون ..."[3] ؛ وقد تحدث الزياني غداة دخوله الجزائر عن جماعة من الفاسيين وردت عليه جماعة مرحبة به وقد طلبوا منه قبول ضيافتهم [4]. أما المدن المغربية التي سجل ورود تجار منها على الجزائر هي : فاس ، مراكش ، تطوان، طنجة، سلا حيث كانت لهم معاملات بميناء المدينة مع الموانئ الأوربية [5] و كما كان للجرابة أماكن مخصصة لهم ولنشاطهم ورد كذلك وجود حي لأهل سلا بأعلى المدينة أين كان التجار السلاويون يحطون رحالهم [6] .

3 ـ المغاربة في المجتمع الجزائري:

إذن وكما أشرنا استقر المغاربة بالجزائر في فترة الدراسة، و زاولوا أنشطتهم في مختلف مناحي الحياة حيث سجلت المصادر لنا بعضا من هذه الأنشطة. وفيما يلي سنحاول إدراج نماذج عن حياة المغاربة بالجزائر العثمانية وعن صور تواصلهم الاجتماعي من خلال التعرف على المهن التي اشتغلوا بها وكذا التعرف على صلاتهم بالجزائريين .

---

[1] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 45 .
[2] ابن الشويهد ، مصدر سابق ، ص ص 121 - 123 .
[3] نفسه ، ص 123 .
[4] الترجمانة الكبرى ـ في أخبار المعمور برا وبحرا ـ ، تح : عبد الكريم الفيلالي ، ط 2 ، دار نشر المعرفة ، الرباط ـ المغرب ، 1991 ، ص 151 .
[5] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص ص 34 - 35 .

[6] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 134 . ورد ذكر هذا الحي ضمن الأحياء التجارية المعروفة بمدينة الجزائر خلال العهد العثماني وعن أسماء و مواقع هذه الأحياء أنظر الملاحق المدرجة في كتاب قانون أسواق مدينة الجزائر لابن الشويهد تحقيق ناصر الدين سعيدوني ، ص 166 .

أ ـ المهن التي اشتغل فيها المغاربة : يعد العامل التجاري أحد أبرز العوامل التي استقطبت المغاربة إلى مدينة الجزائر؛ فقد كانت هناك تسهيلات شجعت التجار المغاربة على دخول الجزائر والاشتغال بها نذكر منها تلك التي كانت تتم على مستوى ميناء الجزائر على البضائع والسلع المغاربية فرسوم استيراد السلع المغاربية كانت منخفضة بالمقارنة مع غيرها فنجد مثلا أن رسم القماش التونسي كان يقدر بـ 8 صايمات للقنطار والحايك الجربي بـ 6 صايمات والنيلة التونسية بـ 25 صايمة ، في حين كان رسم القماش الهندي 21 صايمة والقماش المصري 15 صايمة [1].

ونجد أن المدينة كانت من أشهر المدن التجارية فقد قدَّم أحد الزائرين لها خلال القرن 16 م / 10 هـ وصفا عن التجارة بها حيث قال عنها : " ... أفضل من جميع بلاد افريقية وأعمر وأكثر تجارا وفضلا وأنفذ أسواقا وأوجد سلعة ومتاعا حتى إنهم يسمونها اسطنبول الصغرى..." [2].

هذا وقد كانت التجارة البينية لبلدان شمال إفريقيا نشطة حيث كان للتجار معاملات بيع وشراء في البلد الذي يذهبون إليه ، والجزائر كانت كما جاء الوصف من بين أهم الأسواق المغاربية المروجة للسلع وقد ذكر الوزان بأن السفن القادمة من تونس وجربة كانت تأتي كل سنة إلى عنابة من أجل التجارة لشراء القمح والزبد حيث كان القمح القادم من مناطق عديدة وخاصة عنابة مصدر قوت لسكان القيروان ، وذكر كذلك أن تجار تونس كانت لهم تجارة مع أهالي ورقلة .[3]. أما مارمول فقد ذكر بأنه كانت تقام في عنابة سوق كل جمعة يقصدها التجار من تونس ، جلفة ومن طرابلس وذكر كذلك بأنه كانت لتجار تلمسان تجارة كبيرة مع سكان تازا .[4]

كما كان التجار المغاربة دور مميز في التجارة الدولية بميناء الجزائر في الفترة (1686 ـ 1791 م) ، حيث ورد ذكر التجار المغاربة المتعاملين مع الموانئ الأوربية في

---

[1] الشويهد ، مصدر سابق ، ص ص 45 ـ 46 .
[2] التمجروتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تقديم : سليمان الصيد ، دار بوسلامة ، تونس ، 1988 ، ص 90 .
[3] الحسن الوزان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 62 ، 75 ، 136.
[4] مارمول كاربخال ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 272. و ج3 ، ص 8 . وهذا ما أكده De Paradais. أنظر : 33 -op. Cite ,pp 32 ,

وثائق القنصلية الفرنسية حيث وجد 22 عقدا تجاريا للتجار الطرابلسيين ، ثم 15 عقدا للتجار التونسيين ثم يليهم التجار المغربيون بستة عقود [1] ، وقد أدرت التجارة على بعضهم ثروة حيث اشتهر بمدينة الجزائر تجار كبار نذكر منهم : التاجر المغربي الحاج عبد الغني الفاسي الذي احتل المرتبة الأولى كأثرى رجل بمدينة الجزائر خلال الفترة (1807 - 1817 م) بثروة قدرها : 45.801 ريالا ، وفي نفس الفترة احتل تاجر مغربي آخر المرتبة السابعة يدعى : أحمد بن إبراهيم الفاسي الزرهوني بثروة تقدر بـ : 21.807 ريالا [2] .

كما اشتهر تاجر آخر واسمه : الحاج محمد القصيصر الطرابلسي والذي عرف بإتقانه لصناعة حايك الحرير[3]، الذي كان يتاجر به وقد كان هذا الرجل ثاني أكبر الأثرياء بمدينة الجزائر بثروة قدرها: 87.944 ريالا [4] ، وذلك في الفترة بين (1817- 1826م) [5] ومن التجار الذين عرفوا بمدينة الجزائر أيضا نجد التاجر أحمد الجربي خلال القرن 18 م / 12هـ .[6]

بالإضافة إلى التجارة امتهن بعض المغاربة الحرف ، ومن الحرف التي استهوت المغاربة نجد : البناء حيث كان المسئولون بالجزائر يستعينون ببعض الصناع المسلمين ولاسيما من تونس والمغرب الأقصى من أجل إنجاز المنشئات العمرانية [7] ونذكر نماذجا عن النقاشين التونسيين فمن بين الذين استقدموا : الأصطا علي البنزرتي وأخوه محمد و قاسم الصفاقسي [8] ، علي بن محمد التونسي و أحمد بن عمر التونسي [1] .

---

[1] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص 34 .
[2] نفسه ، ص 275 .
[3] نفسه ، ص 230 .
[4] نفسه ، ص 277 .
[5] نفسه ، ص 277 .
[6] خليفة حماش ، الأسرة في مدينة الجزائر ـ خلال العهد العثماني ـ ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ـ قسنطينة، 2006 ، ص 54 .
[7] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1998، ص 448 .
[8] الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية والاجتماعية لخنقة سيدي ناجي : في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (1602 - 2002 م) ـ بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات للبعض من أعلامها ـ ، دار الهدى ، عين مليلة ـ الجزائر : 2002 ، أنظر هامش الصفحة 62 .

وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة خنقة سيدي ناجي ببسكرة [2]، ومن النقوش الموجودة بالباب الغربي للمسجد والتي تثبت ورود بنائين تونسيين على المنطقة : " ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال سنة 46 ومائة وألف على يد صانعه أصطا أحمد بن عمر الشريف الجبالي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفاقسي رحمه الله ".[3]

ومن الحرف التي اشتغل بها المغاربة كذلك نجد حرفة الحمارة وهي : بيع الدواب وتأجيرها للغير، وتذكر عائشة غطاس أن عناصر البلدية قد عزفت عن امتهان هذه الحرفة لذلك اقتسم كل من التلمسانيين والقسنطينيين والمغربيين هذه الحرفة ، ومن بين المغربيين الذين اشتغلوا بها نجد الحاج محمد الحمار بن عمر التيطواني .[4] واشتغل الحاج محمد التيطواني سمّارا والذي لم تدر عليه حرفته هذه ثروة حيث خلف أدنى ثروة في عام 1701 م / 1113 هـ وقد قدرت بـ : أربعة ريالات [5].

ومن الحرفيين المغاربة نجد كذلك عمر المرابط القيرواني ت 1807 م / 1222 هـ الذي اشتغل في الجزائر سرّاجا - يصنع السروج - وكان هذا الرجل ممن خدم عائلة الباي حسين بن علي عندما كانوا بالجزائر[6].

ب - المغاربة في الجزائر و علاقاتهم الاجتماعية :

- المعاملات اليومية : امتزج المغاربة مع المجتمع الجزائري وذلك بربطهم لعلاقات مع شخصيات جزائرية في تعاملاتهم اليومية ، وقد سمحت تلك الصلات في إكساب بعض

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 449 .أنظر كذلك : الجمعية الناصرية ، مرجع سابق ، ص83 ، 85 .

[2] خنقة سيدي ناجي : تابعة إداريا لولاية بسكرة وتبعد عن عاصمة الولاية بحوالي 100 كلم شرقا . أنشئت زاويتها على يد الشيخ مبارك بن قاسم بن ناجي في سنة 1037 هـ / 1627 م ، كانت المدرسة الناصرية التابعة للزاوية تدرس العلوم الشرعية واللغوية وقد استقبلت في تاريخها العديد من طلبة العلم من اتجاهات مختلفة .

[3] نقلا عن :الناصرية ، مرجع سابق ، ص 63 .

[4] عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص ص 251 - 252 .

[5] نفسه ، ص 270 .

[6] أحمد ابن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، تح : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ،(د. م.)، 1999 ، مجلد 4 ، ج7، ص 47 .

منهم وجاهة في المجتمع الجزائري ؛فنجد أن بعض الشخصيات كانت لها مكانة كبيرة على غرار قاسم بن زكري الجربي و أحمد بن الفاسية والذين كانا يحضران اجتماعات بمجلس مدينة الجزائر خلال القرن 17 م / 11 هـ [1] .

ومن خلال استقرائنا لبعض الوثائق المتعلقة بحياة المغاربة في الجزائر نلاحظ أنهم شاركوا في معاملات البيع ، الشراء ، الكراء ، الشهادة ، الديون ، التوكيل ... وغيرها ؛ فقد أكدت بعض الوثائق وجود ممتلكات لا بأس بها للمغاربة بمدينة الجزائر فالعالم أبو عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي كانت له ممتلكات بالمدينة سنة 1548 م/ 955 هـ حيث ملك دارا بحومة البطحاء قرب ضريح الولي علي الفاسي بالإضافة إلى أملاك أخرى خارج مدينة الجزائر والتي أوقفها كلها على نسله أولا فإن انقرض رجع الحبس على فقراء المدينة المشرفة[2].

والسيد عمر بن بلقاسم بن زكري الجربي كان من الذين امتلكوا عقارات في المدينة حيث قام بابتياع دار قرب مسجد خضر باشا بناحية باب عزون ، وملك كذلك دار ابن كرشيش اليهودي بزنقة الجرابة وابتاع أيضا حانوتا بسوق القبايل ، وقام بتحبيس هذه الأملاك على نفسه أولا ثم على أولاده محمد و عايشة و قامير ومن سيولد بقية عمره فإن انقرضوا رجع الحبس على فقراء مكة والمدينة وأثبت كل هذا في وثيقة صدرت بتاريخ1675 م/ 1086 هـ [3] .

أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1750 م/ أواخر ربيع الأول من عام 1164 هـ فقد تحدثت عن ابتياع السيد مصطفى بن الحاج إبراهيم الجربي العلج ثلاثة أرباع حانوت ـ بسوق الملاحين القريبة من سوق القبايل ـ من الولية نفيسة بنت السيد محمد فتيح لكن زوج المرأة تدخل واسترد المبيع كله . وقد وضحت الوثيقة كيف تم الأمر حيث ابتاع الجربي المبيع المذكور" ... بثمن قدره ألف ريال واحد ومايتا ريال ثنتان وأربعون ريالا كلها فضية مثمنة دراهم صغار وقبل قبض الثمن قام السيد الحاج محمد حجي

[1] عن الاجتماعات التي حضرها الأول أنظر : عائشة غطاس ، مرجع سابق ، ص ص 44 ، 146 .
وعن الثاني: ابن الشويهد ، مصدر سابق ، ص 93 .
[2] خليفة حماش ، مرجع سابق ، ص ص 899 ـ 900 .
[3] س. م. ش. : ع 10 ، م 5 ، و 20 .

...بحكم نيابته عن زوجه الولية نفيسة المذكورة وأخر بالشفعة جميع المبيع المذكور من يد مبتاعه الحاج مصطفى المذكور فشفعه في جميع ما اشتراه ودفع جميع الثمن ... " [1].

أما بالنسبة لمعاملات الديون فقد تحدثت بعض الوثائق عن نماذج للتداين فقد ورد في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1715م/1128هـ أن صالح الجربي قد أقرض مبلغا من المال قدره 1.25 ريالا دراهم صغار للسيد محمد الفخار[2] ، أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1807 م / أواخر ربيع الثاني من عام 1222 هـ فقد تحدثت عن رسم اعتراف من السيد الحاج عبد الكريم بن الحاج عبد السلام التيطواني "... أن عليه ... للمكرم الحاج بن محمد بن السيد محمد بوشمايم ما قدره ألف ريال واحد وخمسة وخمسون ريالا كلها فضية مثمنة دراهم صغار ترتب جميع العدد المذكور عليه وثمن قماش ابتاعه منه وأعلن ثمنه بذمته ... " (كذا)[3] .

كما تحدثت الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1809 م أواسط محرم من عام 1224 هـ عن ابتياع السيدين الحاج (بياض) بن محمد بن حمودة والحاج عبد السلام التطوانيين لبغلة من عند السيد الحاج بن أحمد بن مالك وبقاء مبلغ من المال بذمة الرجلين توجب عليهما دفعه للرجل المذكور [4]. كان هذا بالنسبة للديون أما بالنسبة لرسوم التوكيل فقد ورد بالوثيقة المؤرخة بتاريخ 1805م / 26 شوال 1220 هـ توكيل السيد محمد بن حميدة العزوني التطاوني الجرابي الأصل (كذا) على جميع أملاك السيد محمد بالفتح بن محمد بوشمايم [5] .

أما بعض الوثائق فقد ورد فيها أدلة على وجاهة بعض الشخصيات المغاربية في المجتمع الجزائري من خلال دخول بعض المغاربة كشهود في المعاملات التي تتم بين الجزائريين أنفسهم كما هو الحال بالنسبة للوثيقة التي وردت بتاريخ : أواخر شهر رجب و لم تذكر السنة فيها ، حيث تحدثت هذه الوثيقة عن شهادة السادة الشيخ أحمد

---

[1] س. م. ش. : ع 9 / 2 ، م 3 ، و 1 .
[2] خليفة حماش ، مرجع سابق ، ص 716 .
[3] س. م. ش. : ع 14 ، م 4 ، و 138 .
[4] س. م. ش. : ع 4 ، م1 ، و 42 .
[5] س.م.ش.: 14/ 1 ، م 4 ، وثيقة رقم 166 .

المراكشي العزوني نسبا و السيد محمد بن الغزالي كشهود أصل والشيخ الحاج موسى المراكشي و المكرم عامر بن رابح العزوني أن السيد يحيى بن أبي القاسم العزوني توفي عن أولاده الذكور وهم : القايد محمد ، أبي القاسم ، محمد ، و سي محمد لا غير وشهدوا كذلك أن ميراث الرجل يرجع للسيد يحيى الحفيد بعد أن توفيت ابنة عمه الولية عائشة بنت محمد [1].

وتحدثت الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1845 م/1262 هـ عن اثبات نسب السيد عياش بن عبد الله بن المبارك بحضور شخصيات منها السيد الفاسي بن الفاسي[2]. وهذه المعلومات الواردة في الوثائق إن دلت على شيء فإنها تدل على التمازج الاجتماعي الذي تم بين المغاربة من جهة وبين الجزائريين من جهة أخرى ، حيث أن المغاربة لم يعيشوا منغلقين على أنفسهم وذلك راجع إلى العلاقات المستندة على أسس متينة وهي وحدة : الأرض ، العنصر البشري ، الدين ، اللغة ، التفكير والمصير .

- المصاهرات : في صورة أخرى من صور التواصل الاجتماعي عقدت صلات مصاهرات بين الجزائريين من جهة وبين المغاربة من جهة أخرى ؛ حيث تم زواج بطابع سياسي كما هو الحال بالنسبة لعلي ابن مراد باي حيث وفي إطار الصراع الذي دار بينه وبين أخيه محمد ؛ وبحثا عن حليف له تزوج من ابنة الحاج بن ناصر شيخ حرار الحنانشة [3].

كما تم تسجيل نماذج أخرى عن مصاهرات خارج الإطار السياسي فقد وجدت مصاهرات بين العلماء على غرار تلك التي تمت بين الشيخ علي بن عبد الواحد الأنصاري والشيخ عيسى الثعالبي بأن تزوج الأول من ابنة الأخير[4] ، بالإضافة إلى الشيخ جار الله أبو

---

[1] س. م. ش. : ع 14 ، م 4 ، و 144 .

[2] س. م. ش. : ع 58 ، م 2 ، و 54 . وتحدثت الوثيقة رقم 56 بنفس العلبة والصادرة عن المحكمة الحنفية بتاريخ أواخر شعبان من سنة 1197 هـ عن شاهد في معاملة أخرى وهو السيد محمد النجار بن الحاج عيسى المكناسي .

[3] Ernest Mercier , Op. cite, p 236 .

[4] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج2 ، مرجع سابق ، ص 53 .

مكتوم المقري الزواوي الجزائري ت1669 م/1080هـ والذي تزوج من ابنة الشيخ أبو الحسن السراج السجلماسي ت1647 م/ 1057 هـ[1] .

كما وجدت كذلك نماذج عن مصاهرات تمت بطابع تواصل اجتماعي بحت ومنها نذكر بعض الوافدات من المغربيات اللاتي تزوّجن بجزائريين والتي أثبتت عمق الصلات الاجتماعية بين الشعوب المغاربية خلال العهد العثماني ، والمناطق التي ثبت قدوم نساء منها ارتبطن بجزائريين هي: تونس، جربة، تطاون (تيطوان)، و فاس.[2]

وقد أورد خليفة حماش في دراسته المتعلقة بالأسرة في مجتمع مدينة الجزائر نماذجا عن الزوجات الوافدات سواء من داخل الإيالة أو من خارجها [3] ، والنماذج التي ذكرت حول زوجات من أصول مغاربية تتعلق بكل من : فاطمة بنت الحاج عبد السلام التطاوني التي تزوجت بالحاج أحمد الشريف ابن يوسف ، وتزوجت شاشة المغربية من الحاج محمد بن عبد الرحمان ، كما تزوجت خديجة بنت ؟ التونسي من إبراهيم بن محمد المقايسي ، وتزوجت ؟ التطاونية من محمد بن كسيمة [4] ، وخديجة بنت السيد محمد الغجلي التطاونية التي تزوجت بالسيد عبد الله بن محمد الغماري [5].

كما دلتنا بعض الوثائق على علاقات مصاهرات أخرى منها مثلا ما ورد في الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1709م/ 1121 هـ فقد تحدثت عن ملكية الزوجين " ... أحمد بن صالح الجربي والولية الحرة جنات بنت الحاج أحمد بن معمر .. " لدار بحومة المانيش [6]

أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ 1792م / 1207 هـ فقد جاء فيها : "...توفيت ...الولية دومة بنت ...محمد العمالي ...عن أختها للأم وهي الولية عويشة بنت الحاج محمد الطنجي

---

[1] ابن ميمون ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تح.: محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر،1981، م. مح. ، ص 75 .

[2] خليفة حماش ، مرجع سابق ، ص 104 .

[3] نفسه، 105 - 106 .

[4] نفسه ، ص 106 .

[5] نفسه ، ص 340 .

[6] س. م. ش. : ع 26 / 1 ، م 1 ، و 8 .

وعصبة ابن عمها السيد أحمد ... "[1] ؛ كما تحدثت الوثيقة المؤرخة بـ1792 م/ 1207 هـ عن وفاة " ... الولية فاطمة بنت(بياض)عن زوجها محمد الفاسي" [2] .

ومن خلال هذه النماذج يتبين لنا أن بعض المغاربة الذين استقروا بالجزائر فضلوا تأسيس أسر وترك نسل لهم يحمل أسماءهم . غير أن هناك من توفي دون عقب كما هو الحال بالنسبة للحاج البشير المغربي المتوفي في وطن الخشنة ولم يبق له وارث سوى بيت المال[3]. إذن كانت هذه بعض النماذج المتعلقة بعلاقات المصاهرات بين الجزائريين والمغاربة في صورة من صور التواصل الاجتماعي بينهم .

- **الصداقات :** عقدت الصداقات بين المغاربة والجزائريين كجانب من التواصل الاجتماعي وهناك أمثلة عن هذا الجانب من العلاقات الاجتماعية نذكر منها مثلا : الصداقة المتينة التي ربطت عيسى البطوئي المغربي بصديقه ورفيقه في طلب العلم والذي كان تلمسانيا واسمه : أحمد الحلافي حيث انطلقا من مجاجة نحو تلمسان لطلب العلم [4] ، وما يؤكد متانة هذه الصداقة هو أن البطوئي قد خص صديقه الحلافي بترجمة بترجمة تخليدا للصداقة التي جمعتهما .[5]

وفي إطار ركب الحج عقدت الصداقات بين الحجاج المغربيين والجزائريين عند محطات الركب فقد ذكر لنا العياشي أصدقاءه الجزائريين ففي الخنقة التقى بصديقه عبد الله بن محمد بن المبارك .[6] كما ذكر لنا الزياني بأنه لما كان بالجزائر راسل صديقه التلمساني المقيم بقسنطينة وطلب منه أن يبحث له عن منزل يقيم فيه عند وروده المدينة ، كما تحدث عن وعكة أصابت الرجل وبأنه عاده في مرضه ذاك.[7]

---

[1] س. م. ش. : ع 14 ، م 1 ، و 5 .

[2] س. م. ش. : ع 14 ، م 1 ، و 29 .

[3] س. م. ش. : ع 2 ، م2 ، و 62 . وهي مؤرخة بتاريخ : 1848 م .

[4] حسن الفكيكي : " من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر - عيسى بن محمد الراسي البطوئي - " ، م. د. ح. م. ، ع 250 ، القسم الأول، جويلية 1985، ، ص 41 .

[5] نفسه ، ص 41. إحالة المؤلف .

[6] الرحلة العياشية - 1661- 1663- ، تح .: سعيد الفاضلي وَ سليمان القرشي،ج 2،ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي - الإمارات العربية المتحدة ،2006،ص ص537- 536 .

[7] نفسه ، ص ص 151 - 152 .

كانت هذه نظـرة موجـزة عن حيـاة المغاربـة في الجزائـر وبعضـا من صـور تواصلهـم الاجتماعـي التـي ورغم قلتـها ـ فهـي لا تمثل فعلا ما كـان حاصلا ـ ، إلا أنهـا أثبتت وجود عمق التواصل الاجتماعي بين المغاربة الذين اعتبروا الجزائر بلدا لهم وبين الجزائرييـن الذين اعتبـروا المغاربـة منهم ؛ فلـم تكـن هناك حـواجـز بيـن المغربي والجزائري في وقت توترت فيه الأمور بين ساسة بلدان شمال إفريقيا.

الفصل الثاني :

العلماء المغاربة في الجزائر خلال العهد العثماني

1 ـ المراكز العلمية المستقطبة للمغاربة بالجزائر.

2 ـ صور التواصل الثقافي للعلماء المغاربة بالجزائر.

3 ـ العلماء المغاربة في الجزائر ـ الوظائف والمهام .

إن تنقل العلماء بين بلدان شمال إفريقيا هو ظاهرة تاريخية ليست مرتبطة بعصر دون الآخر، فالعالم كان يقدم دائما نموذجا عن دور الثقافة في تمتين العلاقات بين الشعوب فقد كان بعض العلماء يفضلون الاستقرار في البلد الذي رحلوا إليه ليقدموا خدماتهم في المجال الثقافي . وإذا ما تتبعنا تنقل العلماء المغاربة بين بلدان المنطقة المذكورة خلال القرن 15 م/ 9 هـ فإننا نجد نماذجا كثيرة عن السياحة العلمية بين هذه البلدان ، ومن بين هذه النماذج ابن مرزوق الحفيد عالم تلمسان والذي مكث مدة بتونس حيث تخرج عليه عديد الطلبة [1].

وفي العهد العثماني تنقل العديد من العلماء المغاربة إلى الجزائر تمتينا لذلك التواصل . فما هو دور العلماء في التواصل المغاربي ؟ وكيف تم ذلك ؟ هذا ما سنحاول التعرف عليه من خلال استظهار أهم المراكز العلمية المستقطبة للمغاربة وإلقاء نظرة على صور تواصل العلماء بالإضافة إلى التعرف على أهم الوظائف والمهام للعلماء المغاربة في الجزائر في هذه الفترة .

1 ـ المراكز العلمية المستقطبة للمغاربة خلال العهد العثماني :

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تراجعا في المستوى الثقافي غير أن ذلك لم يمنع المغاربة من التنقل إلى الجزائر والنهل من المراكز العلمية المنتشرة بها و الاحتكاك بالعلماء ، وقد شهدت هذه المراكز تبادلا ثقافيا بين الجزائريين والقادمين إليها من بلدان شمال إفريقيا ، ومن خلال هذا العنصر سنتعرف على أهم المراكز العلمية بالجزائر والتي كانت مقصدا من طرف المغاربة وسنأتي على نماذج سواء فيما يتعلق بالحواضر أو طالبي العلم وكذا ممن اشتهر من العلماء .

أ ـ تلمسان: حظيت تلمسان بأهمية كبيرة كمركز ثقافي بالجزائر خلال العهد الزياني ، ويبدو أن الحاضرة ستعرف تراجعا كبيرا خلال العهد العثماني في المجال الثقافي بسبب

[1] محمد ابن مرزوق الحفيد ت 842 هـ / 1438 م عالم جمع بين المعقول والمنقول والشريعة ، نشأ بتلمسان أين أخذ العم عن علمائها ، ثم انتقل إلى تونس ودرس بها وقد كان من أشهر علماء المغرب العربي أنذاك . للمزيد عن ترجمته أنظر : الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، ج1، مطبعة فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906 ، ص ص 124 - 136 .

اضطراب الأوضاع السياسية التي غيرت الكثير من الأمور بالحاضرة نظرا لهجرة العلماء منها وتراجع عدد الداخلين إليها والطالبين للعلم بها [1] غير أن تدهور الوضع لم يمنع من دخول المغاربة إليها ، فقد ظلت خلال القرن 16 م/ 10 هـ مركزا رئيسيا للاقتباس الثقافي من طرف المغربيين وخاصة الريفيين [2]، وقد ذكر حسن الفكيكي في مقالته التي تحدث فيها عن الشيخ عيسى بن راسي البطوئي أن تجوال الرجل ونهمه من المراكز الثقافية بالغرب الجزائري ـ والتي مكث بها طويلا ـ ،جعله في عين الراسيين"علاّمة ومربيا سالكا وزاهدا متبصرا" .[3]

كما اعتبر المؤلف الرحلة العلمية التي قام بها البطوئي إلى تلمسان مرحلة ايجابية في تكوينه الديني والأدبي[4] ، فتلمسان كانت من أهم المراكز التي ارتشفت منها القبائل الريفية بالمغرب [5] ، وهذا ما يدل على الأهمية الكبيرة التي حظيت بها تلمسان كمركز ثقافي خلال القرن 16 م / 10 هـ ، ولنا أن نذكر المغربيين الناهلين من علومها : أحمد بن ابراهيم بن أحمد الراسي ولد 1629 م / 1039 هـ ، و أحمد السوسي توفي بالجزائر وهما شيخا البطوئي [6] ... ومنهم أيضا : أبو عثمان سعيد المنوني ... [7]

ب ـ الجزائر: بالإضافة إلى الأهمية السياسية التي حظيت بها مدينة الجزائر خلال العهد العثماني ، فقد كان لها حضور كمركز ثقافي ، ومن المحفزات التي أهلتها لذلك وجود مساجد كبرى ، فقد كان بها 12 مسجدا كبيرا والعديد من المساجد [8] كما وجدت بها ثلاث

---

[1] عمار بن خروف ، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب ـ في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ـ ، دار الأمل ، الجزائر، 2006 ، ص ص 158 - 159 .

[2] حسن الفكيكي : " من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر ـ عيسى بن محمد " ، م . د. ح. م. ، القسم الأول ، ع 250 / جويلية 1985 ، ص 43 .

[3] نفسه ، ص 38

[4] نفسه ، ص 40 .

[5] نفسه ، ص 43.

[6] نفسه ، ص ص 39 - 40 .

[7] عمار بن خروف ، العلاقات الاقتصادية ، مرجع سابق ، ص 159 .

[8] De Paradais, op. Cite , p 157 .

جامعات تدرس الفقه المالكي [1] كما جاء في الوصف الذي قدمه De Paradais عن المدينة خلال القرن 18 م .

فعبد الرحمان الجامعي الفاسي الذي زار الجزائر خلال القرن 17 م/ 11هـ قدم وصفا عن المدينة وما حوته من علماء بقوله : " أما مدينة الجزائر فأول بلد لقيت بها مثل من فارقته من أدباء بلدي..."[2] ،وقال أيضا واصفا علماء المدينة بأنهم :" متضلعون بعلم النحو والفقه والحديث وإحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث " [3] ، فلا شك إذن أن شهرة الجزائر بكثرة علمائها جعلها مزارا للطلبة و الناهلين وشهادة الجامعي [4] خير دليل على ذلك .

ج - زواوة: حظيت زواوة هي الأخرى بأهمية كبيرة كمركز ثقافي خلال العهد العثماني ، فقد ساعد انتشار الزوايا في الجبال والقرى بمنطقة القبائل بأن تكون هذه الأخيرة مقصدا لكل متعطش إلى العلم قبل العهد العثماني وأثناءه .[5] وقد تحدث عبد الحي الكتاني عن أهمية أهمية إحدى الزوايا المتواجدة بالمنطقة وهي زاوية آقبو بقوله : "... هي من أهم الزوايا العلمية في القرون الثلاثة الأخيرة ومنها انتشر الفقه والنحو و الفلك والحساب في بلاد زواوة وما والاها ...".[6] ؛ كما اشتهرت زواوة كذلك بالقراءات وعرفت بالحذق في هذه

.

[1] De Paradais, op. Cite, p 158

[2] نقلا عن :ابن عمار الجزائري ، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، مطبعة فونتانة ، الجزائر ، 1902 ، ص ص 81 - 82 .أنظر : نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ص 202 - 203 .

[3] نقلا عن : ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 55 . وكذا : نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 204 .

[4] محمد المنوني ، " عبد الرحمان الجامعي الفاسي - حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير - " ، م. د. ح. م. ،(المغرب) ، ع 5 - 6 ، مارس 1974 ، ص ص 77 - 89 .

[5] محند آكلي آيت سوكي ، تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها و مواقفها في مختلف الجوانب الحياتية - من القرن 10 - 13 هـ/ 16 - 19 م - ،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر ، 2006 - 2007 ، ص 23 .

[6] فهرس الفهارس و الأثبات ومعجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات ، ج2 ، ط2، دارالغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1982 ، ص 1001 .

المادة " حتى أنها كانت مقصودة للعلماء للإتقان والبراعة " [1]، ومن بين أشهر من قصد زواوة لتعلم القراءات من المغاربة الشيخ : محمد بن مزيان التواتي المغربي .[2]

د ـ قسنطينة : اكتسبت قسنطينة هي الأخرى شهرة بين المغاربة وذلك لاشتهار هيئتها العلمية بين المغاربة حيث ذاع صيت بعض العلماء بقسنطينة خارج حدود الجزائر ومن هذه الشخصيات : عمر الوزان ، عبد اللطيف المسبح ، أحمد المسبح ، عبد الكريم الفكون ... وغيرهم من العلماء [3] .

وبالإضافة إلى هذه المراكز اشتهرت مراكز أخرى ثانوية ثبت أن درس بها مغاربة نذكر منها : مجاجة [4] بولاية الشلف الحالية ، مليانة و بسكرة [5] ، خنقة سيدي ناجي ...

2- صور التواصل الثقافي للعلماء المغاربة بالجزائر خلال العهد العثماني

تنقل المغاربة للجزائر بدوافع ثقافية لينسجوا صورا للتواصل الثقافي المغاربي في قطر من أقطاره ، وخلال هذا العنصر سنتطرق لصور هذا التواصل والذي تجلى من خلال طلب العلم والمراسلات ، مع الإشارة إلى بعض النماذج من الشخصيات المغاربية الفاعلة في هذا المجال .

أ ـ طلب العلم : وكما اشرنا سابقا فإن العلم من بين الأمور التي شجعت المغاربة على دخول الجزائر، وقد تنقل الكثير من طلبة العلم بين المراكز الثقافية التي اشتهرت بالجزائر خلال فترة الحكم العثماني وذلك للنهل من العلوم المتاح تعلمها والاحتكاك بالشخصيات العلمية بتلك المراكز .

فخلال القرن 16 م/ 10 هـ ذكر لنا ابن القاضي نماذج عن طلبة علم مغاربة دخلوا الجزائر[1] طلبا للعلم ومن بين طلبة العلم هؤلاء : الشيخ أبو محمد بن عبد الله العنصوصي

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 20 .
[2] نفسه ، ص 21 .
[3] عمار بن خروف ، العلاقات الاقتصادية ، مرجع سابق ، ص ص 161 - 162 .
[4] محمد فلاق :" الرؤية الصوفية في شعر محمد بن علي آبهلول المجاجي " ، دورية الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، ع 4 / 2010 ، منشورات جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ـ الجزائر ، ص 7 .
[5] عمار بن خروف ، العلاقات الاقتصادية ، مرجع سابق ، ص163 .

ت 1522 م / 927 هـ ، أخذ عن أبي العباس أحمد بن زكرياء المغراوي بتلمسان كما سافر إلى بجاية ليأخذ عن جماعة بها [2]. وكذا الشيخ : عبد الله بن محمد الوردي المراكشي أخذ عن طاهر بن زيان و أبو فارس عبد العزيز البسكري القسنطيني وغيرهم . [3]

ومنهم الشيخ أبوعبد الله محمد بن ركروك السبكي وقد اختار هذا الرجل الاستقرار بالجزائر وقد أخذ العلم عن جماعة منهم الشيخ : أبو الطيب البسكري. [4] ولعل أشهر طالب علم مغربي دخل الجزائر في الفترة المذكورة هو : الشيخ محمد بن احمد بن عبد الرحمان اليسيثني ت 1551 م/959 هـ [5]، ففي سنة 1523 م/ 930 هـ سافر اليسيثني من المغرب وخلال سفره ذاك أخذ العلم عن أهل تلمسان و قسنطينة وتونس ومصر ومكة [6]. ففي تلمسان درس على الشيخين : محمد بن موسى والذي كان مفتيا ، وكذا عن الشيخ سعيد المقري [7]. أما بقسنطينة فقد أخذ عن الشيخين : محمد العطار[8] وعمر الوزان [9] وقد درس

---

[1] ذكر ابن القاضي عالما مغربيا دخل الجزائر ولكنه لم يحدد أكان طالب علم أم من العلماء العاملين بالجزائر وما ذكره عن الرجل أن اسمه : عبد الواحد بن محمد اللمطي الميموني المكناسي وبأن له معرفة بالنحو والفرائض . توفي بجزائر بني مزغنة سنة 988هـ/ 1580 م . ابن القاضي ، درة الحجال في أسماء الرجال ، تح.: محمد الأحمدي أبـو النور، ج 3 ، ط1، المكتبـة العتيقة ، تونس ـ دارالتراث ، القاهـرة ،1971 ، ص 140 .

[2] ابن القاضي ،مصدر سابق، ج2 ، ص54 .

[3] نفسه ، ص ص 55 - 56 .

[4] نفسه ، ص 129 .

[5] قال عنه ابن القاضي : " كان فقيها ، إماما ، علامة ، محققا ، جامعا بين فنون المعقول و المنقول ، رحالة ، خطيبا ، مفتيا ، وكان حريصا على إفشاء العلم ونشره . " مصدر سابق ، ص 201 .

[6] عبد الله بن كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 250 .

[7] محمد بن محمد مخلوف ، شجرة النور الـزكية في طبقات المالكية ، ج 1 ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، 1349هـ ، ص 283 .

[8] العطار : أبو عبد الله محمد العطار شيخ مدرس بقسنطينة اشتهر بالمنقول والمعقول وكان معاصرا للوزان . أنظر ترجمته : عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية فـي كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تح. : أبو القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1987 ، ص 38 .

[9] ابن القاضي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 202 . وكذا : محمد بن محمد مخلوف ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 283 .

الأصلين والبيان وغيرهما على يد الشيخ أبو حفص الأنصاري المعروف بالوزان [1]، وأخذ النحو عن الشيخ : أبو عمران موسى الزواوي.

وخلال القرن 17 م/ 11هـ اشتهرت بالجزائر بعض الشخصيات والتي كانت لها مكانة بين العلماء وكانت مقصودة من طرف طلبة العلم للاستفادة منها ومن بين هذه الشخصيات نجد : سعيد قدورة [2] والذي شغل منصب الإفتاء بمدينة الجزائر ومن بين طلبة العلم والعلماء الذين أخذوا عليه نجد المغربي : أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني[3] ت 1683 م/1095هـ [4] ، وقد جال الروداني في المغرب الأقصى والجزائر ومصر والشام والحجاز...[5] حتى لقب بـ :" فرد الدنيا في العلوم".[6]

ومن طلبة العلم المغاربة والذين كانت لهم رحلات علمية للجزائر نجد عيسى بن محمد الراسي البطوئي[7] الذي زار تلمسان ومكث بها حوالي خمسة عشر سنة [1] أين ربطته

---

[1] الوزان : أبو حفص عمر الوزان شيخ مدرس بقسنطينة اشتهر بين علماء عصره بالتصوف ثم تركه ليهتم بالحديث النبوي وقد كان ممن تشد إليهم الرحال لطلب العلم . توفي سنة 965 هـ / 1557 م ودفن بمدرسة ابن آفوناس بمدينة قسنطينة . الفكون ، مصدر سابق ، ص ص 36 - 37 . أنظر ترجمته كذلك : الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص ص 76 - 77 .

[2] سعيد قدورة : أبو عثمان سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة تونسي الأصل جزائري النشأة ، أحد أئمة المعقول ، اشتهر بين مواطنيه بالصلاح والزهد . أخذ عن شيوخ كثيرين منهم : سعيد المقري وقد تتلمذ على يده : ولده محمد قدورة ، أبومهدي عيسى الثعالبي .... وغيرهم . توفي سنة 1066 هـ / 1655 م ترك مؤلفات تراوحت غالبا بين الحواشي والشروحات . الحفناوي ،مصدر سابق ، ج 1 ، ص 62 .
أنظر ترجمته كذلك : القادري ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ، تح. : محمد حجي و أحمد التوفيق ؛ ضمن : موسوعة أعلام المغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان، 1996 ، ج4 ، ص 1466 .أنظر كذلك : ابن ميمون ، مصدر سابق، م. مح. ، ص 73 .وكذا : نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 196 .

[3] القادري ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 1674 .وكذا : محمد الأخضر ، " من أعلام المغرب العربي - محمد بن سليمان الروداني 1037 - 1094هـ / 1626 -1683 م - "، م. د. ح. م. ، س 16/ 3 ، جانفي 1973 ، ص 165 .

[4] محمد بن سليمان الروداني : فيلسوف فلكي ولد بتارودانت سنة 1037 هـ / 1627 م رحل إلى سجلماسة ، فاس ، الجزائر.... توفي 1095 هـ / 1683 م .عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 284 - 285 . أنظر ترجمته كذلك : عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 425 - 429 . وكذا : محمد الأخضر، مرجع سابق ، ص ص 164 - 168

[5] عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 425 .

[6] عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 285 .

[7] عن ترجمة الرجل كاملة أنظر: حسن الفكيكي ،" من أعلام الريف... " م. د. ح. م. ، القسم الأول : ع 250 / جويلية 1985 ، ص ص 34 - 43 .القسم الثاني: ع 251 / أوت 1985 ، ص ص 75 -

علاقات بعلماءها . ونجد أن البطوئي كان قد راسل هو وصديقه الحلافي المفتي سعيد المقري[2] وطلبا منه الإجازة قبل أن يتوجها نحو تلمسان وقد قوبلت تلك

المراسلة بالقبول ، وخلال هذه المرحلة من حياة البطوئي العلمية درس على تسعة عشر شيخا من كفاءات مختلفة. حيث درس على يد الشيخ : المفتي سعيد المقري عقائد السنوسي كما درسها أيضا على يد الشيخ : محمد الغشوي وقد قال البطوئي عن تجربته في الدراسة على يد هذا الأخير : " كنا نختم عليه مختصر خليل والرسالة الألفية كل شتوة ، مع مداومة عقائد السنوسي ... " [3].

ودرس البطوئي كذلك على شيوخ عدة منهم : محمد المستيري ، محمد البطحي ، مسعود النايلي ، عبد الله بن عبد الرحمان اليعقوبي ... وغيرهم ، [4] ولعل أبرز شيوخه الشيخ ابن مريم والذي ربطته به علاقة وطيدة تطورت إلى حد كبير[5] . ويبدو أن البطوئي قد كان ممن يفضلون تأريخ مسيرتهم العلمية ؛ حيث قام بعد رجوعه إلى موطنه بكتابة مؤلف عن شيوخه الذين التقى بهم ، وقد أدرج فيه شيوخه بحاضرة الغرب الجزائري تلمسان أسماه : " مطلب الفوز والفلاح في آداب أهل الفضل والصلاح "[6].

---

78 .القسم الثالث :ع 252 / سبتمبر 1985.القسم الرابع : ع 253 / أكتوبر- نوفمبر - ديسمبر 1985 ، ص ص 95 - 100 . القسم الخامس: ع 256 / أفريل - ماي 1986 ، ص ص 115 - 120.

[1] نفسه ، القسم الأول ، ص 43 .

[2] سعيد المقري: سعيد بن أحمد بن أبي يحيى بن عبد الرحمان بن بلعيش المقري ، خطيب الجامع الأعظم بتلمسان لمدة 45 سنة ، فقيه ، عالم ، مفتي ، أخذ لباس الخرقة الصوفية عن الشيخ حاجي الوهراني . من شيوخه : الشيخ محمد الوعزاني ، الشيخ عمر الراشدي ، الشيخ شقرون بن هبة الوجديجي ، الشيخ محمد بن أبي السادات المديوني وغيرهم ، كان له باع في العلوم العقلية . ابن مريم ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، 1908 ، ص ص 104 - 105

[3] حسن الفكيكي ،مرجع سابق ، القسم الأول ، ص 41 .

[4] نفسه ، ص 42 .

[5] جاء على لسان ابن مريم : "ليعلم من يقف على مكتوبنا هذا من أهل الدين والفضل والصلاح ، بأن الشاب الأمجد الأسعد ، وفقنا الله وإياه لصلاح العقل ، السيد الفقيه ، سيدي عيسى بن محمد بن يحيى البطوئي ، له ما لنا وعليه ما علينا ، هو من أولادنا ، ختم الله لنا وإياه بالحسنى ، وكلمتي الشهادة عند الممات ، تجاه النبي وءاله وصحبه ، فمن ءاذاه وتسبب في إذايته ، فلا يلومن إلا نفسه ، ... كاتب الحروف ... محمد بن محمد بن مريم الشريف المليتي ... ". نقلا عن : حسن الفكيكي ، مرجع سابق ، القسم الأول ، ص 42 .

[6] نفسه ، القسم الثاني ، ص 75.

أما ابن زاكور ت 1708 م/ 1120 هـ [1] الذي اختار الجزائر لطلب العلم فقد فضل هو الآخر تدوين رحلته العلمية في كتاب أسماه : " نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان " ليترك لنا وصفا دقيقا عن الحياة العلمية بالجزائر ويستطيع المتتبع للتاريخ الثقافي لهذه الرحلة تحديد المستوى العلمي والثقافي الذي ساد جزائر القرن 17 م / 11هـ.

وتعد رحلة ابن زاكور من بين أهم المصادر التي تؤرخ للحركة العلمية بالجزائر العثمانية وقد ابتدأها المؤلف بوصف لمدينة الجزائر ، ثم تحدث عن شيوخه الذين قرأ عليهم والإجازات التي منحت له من طرفهم ، كما أورد أبياتا في مدح بعض من هؤلاء الشيوخ . ومما جاء على لسانه وصفا للجزائر قوله : " وإنه لما من علي المولى الكريم ... بدخول مدينة الجزائر ...ذات الجمال الباهر...[ففيها] ...غرر أعلام ينجلي بهم الإظّلاّم ، وشموس أئمة، تنفرج بهم كل غمة ،وتفتخر بهم أحبار هذه الأمة ،من رجال كالجبال...،فاهتديت بأنوارهم السنية،...فلم أزل بين اقتباس أنوار، واقتطاف أنوار..." [2].

وفي رحلته العلمية هاته نهل من علماء عدّوا من أشهر العلماء بالجزائر نذكر منهم : أبو حفص بن عمر المانجلاتي [3]، محمد بن سعيد قدورة [4]،الشريف محمد بن عبد المؤمن الحسني [5] ، وإذا ما تتبعنا المسار العلمي لهؤلاء العلماء نجد أنهم اشتهروا بعلوم الدين عامة

[1] ابن زاكور : محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي رحالة مهتم بالفنون الأدبية وعلوم اللغة العربية من شيوخه بفاس : أحمد بن الحاج الكبير ، أبو علي اليوسي ... ، وبتطوان علي بركة . توفي ابن زاكور بفاس سنة **1120 هـ / 1708** م . عبد الله كنون ، النبوغ المغربي، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 313 . أنظر ترجمته كذلك : القادري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص ص 1937 - 1939 .

[2] ابن زاكور ، نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، تح. : مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،[2011] ،ص ص 40 - 41 .

[3] عمر المانجلاتي :من علماء الجزائر المشهورين في علوم كثيرة منها : الأصول ، المنطق ، الفقه ، الحديث ، التصوف ... وغيرها من علوم عصره . للمزيد عن ترجمته أنظر : أبو القاسم الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 295 - 300 .

[4] محمد بن سعيد قدورة : تولى خطة الإفتاء بعد وفاة والده وقد تولى هذه الخطة حوالي 40 سنة من 1655 م إلى سنة 1695 م وقد تم عزل محمد بن سعيد من منصبه بسبب وشاية حساده . ابن المفتي ، مصدر سابق ، ص ص 98 - 99 . أنظر ترجمته كذلك : أبو القاسم الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 382 - 383 .

[5] محمد بن عبد المؤمن : أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن الحسني الجزائري من كبار العلماء في عصره ، تولى القضاء واشتغل بالحديث والفقه ، ولد بمدينة الجزائر وتعلم بها ثم سافر إلى مصر ودرس

عامة و القضاء والإفتاء خاصة . ويبدو أن ابن زاكور قد ربطته علاقات قوية مع شيوخه حيث أنه كان يؤلف فيهم قصائد من الشعر تعبيرا عن مكانة شيوخه كأحبار علم بحاضرة الجزائر .[1]

نلاحظ أن طلبة العلم خلال القرنين المذكورين كانوا من المغرب الأقصى بنسبة كبيرة إذا ما قورنوا بطلبة العلم التونسيين أو الطرابلسيين ، فبالنسبة للتونسيين فإن زيارتهم للجزائر كانت نسبية ذلك أن العلماء في تونس قد اكتفوا علميا لوجود مراكز علمية لعل أشهرها الزيتونة ؛ أو لأنهم فضلوا التوجه إلى المشرق [2]. غير أن ذلك لم يمنع من تنقل بعض العلماء من أجل طلب العلم ونذكر منهم : أبو إسحاق إبراهيم الجمَّني ت 1721 م/ 1134هـ [3] ، حيث انتقل إلى زاوية خنقة سيدي ناجي [4] ليتتلمذ على يد الشيخ العارف بالله : عبد الله بن أبي القاسم الجُلالي ، وبعد الخنقة اتجه ابراهيم الجمَّني إلى زواوة وقد مكث بهذه الأخيرة ست سنين طالبا للعلم ومن أشهر الشيوخ الذين أخذ عنهم : الشيخ محمد السعدي ، الشيخ محمد المغربي ، الشيخ : أبو القاسم القاضي .[5]

أما أحمد بن مصطفى برناز ت 1726 م/ 1139 هـ ـ صاحب كتاب الشهب المحرقة ـ والذي كان تونسيا هو الآخر؛ فقد فضل التنقل بين المراكز العلمية بالجزائر ، فكانت الانطلاقة من بونة حيث درس على يد الشيخين : أحمد ساسي و الشيخ الصديقي ، ثم انتقل

على أكابر علماء العصر هناك ، ولما عاد إلى مسقط رأسه تولى قضاء المالكية بها توفي : 1094 هـ / 1683 م . مسعود كواتي و محمد الشريف سيدي موسى ، أعلام مدينة الجزائر متيجة ، ط 2 ، منشورات الحضارة ، بئر توتة ـ الجزائر : 2010 ، ص 97 .

[1] من الشيوخ الذين مدحهم ابن زاكور بقصائد : المانجلاتي ، بن عبد المؤمن ، محمد بن سعيد قدورة ، ابن خليفة .عن هذه القصائد أنظر : ابن زاكور ، مصدر سابق ، ص ص42 ـ 44 ، ص ص 51 ـ 54 ، ص 70 ، ص 73 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، ج2 ، مرجع سابق ، ص 46 .

[3] إسحاق الجمني : نسبة إلى قرية " جمَّنة " ـ بكسر الجيم ـ قرية من قرى نفزاوة استقر بها أسلافه ، وبعد رحلة الرجل العلمية إلى الجزائر ترأس المدرسة المرادية بجربة والتي أنشئها مراد بن حمودة باشا سنة 1115هـ / 1714 م وقد بذل الجمني المذكور جهده في نشر المذهب المالكي بهذه المدرسة . محمد محفوظ ، تراجم المؤلفين التونسيين ، ج 2، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1994 ، ص 57 .

[4] الجمعية الناصرية ،مرجع سابق ، ص 101 .

[5] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، 437 . أنظر كذلك : محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص56 .

إلى قسنطينة فأخذ عن الشيخين : بركات بن باديس و علي الكماد [1] ؛ ومن قسنطينة كانت الوجهة لمدينة الجزائر حيث التقى بكل من : رمضان بن مصطفى العنابي ،الشيخ علي بن خليل ، و محمد بن سعيد قدورة [2] ، وبعد مدينة الجزائر كانت الوجهة إلى زواوة ليدرس على يد : الشيخ محمد الفاسي ، و أحمد بن عبد العظيم ، و محمد بن صولة والذي قرأ على يده القرآن بالروايات السبعة ، ... وغيرهم من العلماء [3].

ومن طلبة العلم المغاربة كذلك، والذين زاروا الجزائر الأديب: عبد الرحمان بن محمد الجامعي الفاسي 1677م/ 1087هـ - كان حيا سنة : 1719م/1132هـ وقد اهتم هذا الرجل باللغة والأدب [4] وقد تنقل الرجل إلى مدينة الجزائر والتي رأى فيها: "... دار الجوهر الفرد في الأدب ، وعلم العقل والنقل ..." [5] ، وقد أخذ الجامعي عن أشهر العلماء بها غير أن الشيخ محمد بن محمد المعروف بابن علي[6] شذ في ذهنه ، حيث قال وصفه بـ : : " محيي طريقة لسان الدين ابن الخطيب " [7] وقد التقى بالجزائر بعلماء منهم : محمد بن أحمد الحلفاوي التلمساني ، محمد مصطفى الرماصي القلعي ، محمد ابن ميمون ...[8]

كما زار الجامعي كذلك مدينة بونة حيث التقى بالشيخ أبو العباس أحمد المعروف بابن ساسي ، وقد حضر دروسا بين يديي الشيخ أحمد [9] حيث استفاد مما جادت به قريحة الشيخ من تآلفيه الحديثية حيث قال : " ولما وقفت في علم الحديث على البحر العباب والعجب العجاب ، سألته الإجازة فيما وقفت عليه وغيره من التصانيف ..." [10] ؛ هذا وقد تبرك

---

[1] محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 93 .
[2] دلندة الأرقش وآخران ، مرجع سابق ، ص301 . أنظر كذلك : محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 93 .
[3] محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 93 .
[4] نفسه ، ج 2 ، ص 10 .
[5] نقلا عن : ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 55 .
[6] محمد ابن علي : تولى منصب الإفتاء الحنفي والخطابة والتدريس بالجامع الجديد سنة 1150 هـ / 1737 م وقد تولى هذه المناصب بعد ولاية المفتي حسين العنابي .أنظر : ابن المفتي ، مصدر سابق ، ص 92 .و كذا : أبو القاسم الحفناوي، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 409 - 413 .
[7] نقلا عن : ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 55 .
[8] محمد المنوني ، " عبد الرحمان الجامعي الفاسي - حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير- " ، م. د. ح. م. ، ع 5 - 6 ، مارس 1974 ، ص 79 .
[9] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 63 .
[10] نقلا عن : عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 236 .

الجامعي بالشيخ أحمد في كتابته للرحلة الجامعية ،حيث بناها على قواعد بركته.[1] كانت هذه هذه بعض نماذج طلبة العلم المغاربة بالجزائر.

ما تجدر الإشارة إليه أن طلب العلم لم يكن دائما بالسفر للنهل من العلوم ولكن هناك من الطلبة من يستغلون فرصة ورود بعض الشخصيات العلمية إلى بلدانهم ولنا أن نذكر نماذج طلبة مغاربة و شيوخ جزائريين فعندما نزل ابن عمار الجزائري بتونس سنة 1780 م/ 1195 هـ أخذ عنه ابراهيم السيالة التونسي [2]. كما طلب مصطفى بيرم الأجازة من الشيخ ابن العنابي الجزائري بتونس وأجاز كذلك محمد بيرم . [3]

ومن المغاربة الذين دخلوا الجزائر لأغراض أخرى وكانت لهم علاقات مع العلماء ، حيث أفادوا واستفادوا نجد الزياني صاحب الترجمانة فعند دخوله مدينة قسنطينة ربط علاقاته مع بعض علمائها نذكر منهم : الشيخ أبو البركات مبارك حيث اجتمع به في المسجد العتيق ، كما اجتمع به كذلك بالشيخ الصوفي علي بن المسعود الونيسي وقد تذاكر معه واستمع لمحاضراته وغيرهم من العلماء وهناك من العلماء من آنسوه في بيته ومنهم : أبو القاسم المحتالي ، محمد المجاري الخوجة وقد أخذ عنه هذا الأخير بعض الأوراد .[4] وكان الزياني مدة إقامته بالمدينة يجتمع بطلبة العلم [5].

ب ـ المراسلات : وفي صورة أخرى من صور التواصل الثقافي للمغاربة في الجزائر خلال العهد العثماني نجد أن الكثير من العلماء المغاربة قد ربطوا صلات ثقافية مع علماء الجزائر عن طريق المراسلة، ومن خلال الإطلاع على فحوى بعض المراسلات وجدنا أنها دارت حول مواضيع شغلت بال مثقف العهد العثماني وهي لا تعدو عن مناقشة بعض المسائل الأدبية ؛ أو مدح متبادل بين العلماء ومن بين المراسلات التي دارت بين بعض

---

[1] نفسه ، ص 236 .

[2] عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 590 . وكذا : أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 226 .

[3] عن هذه الإجازات وعن نشاط ابن العنابي أنظر ما ألفه أبو القاسم سعد الله عن الرجل في كتاب : المفتي الجزائري ابن العنابي ـ رائد التجديد الإسلامي(1775 ـ 1850) ـ ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، [1977] .

[4] الزياني ، مصدر سابق ، ص ص 153 ـ 154 .

[5] نفسه ، ص 156 .

العلماء المغاربة من جهة والجزائريين من جهة أخرى نذكر بعض النماذج من هذه المراسلات .

وردت بعض المراسلات من مغاربة لعلماء الجزائر تضمنت أسئلة ، ومن هذه الأسئلة ما ورد على الشيخ الوزان بقسنطينة من المغرب الأقصى حيث لم يستطع الوزان الإجابة عليها فأجاب عليها الشيخ العطار.[1]

ومن بين العلماء الجزائريين الذين كانت لهم مراسلات مع علماء مغاربة نجد عبد الكريم الفكون خلال القرن 17 م / 11 هـ وقد أورد هذه المراسلات في كتابه منشور الهداية .وتدخل مراسلات الفكون والعلماء المغاربة في إطار تمتين الأواصر بين العلماء. ومن بين الذين راسلهم وراسلوه : الشيخ أبو عبد الله محمد تاج العارفين [2]، وإبراهيم الغرياني [3] ، فالأول بعث الرسالة للفكون بعد ما سمع عن مآثره فتحدث في رسالته هذه عن أشواقه لرؤيته ورغبته في تمتين عرى الصداقة والتحابب في الله .[4]

أما رسالة إبراهيم الغرياني فلم تخرج هي الأخرى عن إطار بث الود وطلب الدعاء حيث قال : "... لما دعاني داعي الحب والتودد إلى سيدي عبد الكريم الفقون وطلب الدعاء لي ولأولادي ... "[5] ، كما ضمن هذه الرسالة قصيدة لامية مدح فيها الفكون .[6] وقد كانت للفكون هو الآخر مراسلات مع الفقيه التونسي بلغيث فقال عنه الفكون : " ولنا به صحبة عن بعد الدار تضمنها الرسائل من الجانبين ".[7] كانت هذه بعض النماذج من مراسلات الفكون وعلماء مغاربة [8] .

---

[1] الفكون ، مصدر سابق ، ص 38 .
[2] تاج العارفين : اشتهر بعلوم الدين وخاصة علم الحديث تولى الإمامة بجامع الزيتونة سنة 1034 هـ / 1624 م . أنظر ترجمته كاملة : محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 116 - 117 .
[3] دلندة الأرقش و آخران ، مرجع سابق ، ص 302 .
[4] الفكون ، مصدر سابق ، ص ص 215 - 218 . عن نص المراسلة أنظر الملحق رقم: 2 .
[5] نفسه ، ص 218 .
[6] نفسه ، ص ص 220 - 222 . عن هذه المراسلة أنظر الملحق رقم : 3 .
[7] نفسه ، ص ص 199 - 200 .
[8] وردت على الفكون مراسلة أخرى من بعض الفقهاء بالمغرب الأقصى تضمنت إعلامه بخارجية أحمد الفاسي الذي تصدر للتدريس بقسنطينة . نفسه ، ص ص 99 - 100 .

بالإضافة إلى تمتين العلاقات بين العلماء كانت المراسلات تتخذ في بعض الأحيان طابعا أدبيا ؛ كمناقشة بعض الأمور التي تخص الأدب بصفة عامة ، وكذا تبادل القصائد ولنا أن نذكر بعض النماذج من هذا النوع ؛ فقد ذكر ابن حمادوش في رحلته مراسلات بين علماء مغاربة لحل لغز شعري وصياغة هذا اللغز :

ألا أيها الغادي على ظهر أجودا   يشق الفيافي فدفدا بعد فدفد

تحمل ، رعاك الله ، مني تحية   تحيي بها أهل المجالس في غد

وقل لهم ما سبعة خلقوا معا   وما سبعة في ثوب خز مورد

حواجبهم سبعون في وجه واحد   وأعينهم تسعون في خلق هدهد

أبوهم له حرفان من اسم جعفر   وحرفان من اسمي علي وأحمد .

ومن الذين حاولوا حل اللغز ونظم حله في شعر نجد الشيخ محمد الشافعي التونسي حيث قال :

أيا راكبا تهوى به عصوية   يحاجي بدور العلم في كل مش

أتيت خبيرا بالمعايات شاحطا   يخاطب لاتهلك أسى وتجلد

فخذ ماخبطت الأرض أجلسه مدى   ونؤ بحديث مسند ومسدد

أرى السبعة الأولى السموات والتي   تليها بنات النعش عشاقة جدي

حواجبها صبح بوجه سمائه   واحصاؤه سبعون بالجزم سيدي

وتسعونها فيء هو الليل ذو الدجى   ومظهرها فيه لأهل التسهد

وفي نسخة سبعون والحال ظاهر   بها يا فتى يعلوا على فرق فرقد

وفي نعش الحرفان من اسم جعفر   هما العين والتنوين يا سيدي الندى

وفيه غدا من أحمد نون طرفه   وأمر علي ظاهر غير مجحد

فبؤ سالما أنى غدوت مكرما قرير فؤاد خاليا عن تفند .[1]

أما بالنسبة لتبادل القصائد فلنا أن نذكر الشعر الذي تبادله كل من ابن عمار الجزائري و عبد الرحمان الجامعي[2] ؛ وكذا ما تبادله محمد القوجيلي مع الأديب التونسي محمد بن عثمان ضاي ومع الشريف السوسي حول السماع الموسيقي.[3]

كانت هذه إذن بعض نماذج التواصل الثقافي المغاربي وما تجدر الإشارة إليه أن التواصل تم كذلك بطابع مذهبي فقد شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تواصلا ثقافيا بين إباضية وادي ميزاب و إباضية تونس المستقرين بجزيرة جربة ، حيث تنقل طلبة العلم الميزابيين إلى جربة [4] وكان منهم من تصدر للتدريس بها [5] ؛ وكذا الحال بالنسبة لإباضية لإباضية جربة والذين كان لهم حضور في واد ميزاب .

فخلال القرن 16 م/10 هـ ضعفت الحركة العلمية بوادي ميزاب فأرسل أهل ميزاب لإخوانهم بجربة ليتداركوا الوضع ويبعثوا إليهم من ينشر العلم و ينور عقولهم ، فوقع الاختيار على : الشيخ سعيد بن حميدة الخيري الجربي الذي أصبح يعرف في المنطقة بـ : عمي سعيد [6].

---

[1] للمزيد عن الحلول التي قدمها العلماء عن هذا اللغز أنظر : ابن حمادوش ، لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تح.: أبو القاسم سعد الله ،المكتبة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر، ص ص 130 - 136 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص ص 309 - 310 .

[3] نفسه ، ج 2 ، ص 270 .

[4] من الميزابيين الذين تنقلوا لجربة نذكر : يحيى بن صالح الأفضلي ت 1808 م ـ درس في جربة وعاد إلى واد ميزاب ليشتغل بالتدريس . عنه أنظر : أبو القاسم سعد الله ، ج 2 ، مرجع سابق ، ص 74 .وكذا : عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر ـ من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ـ ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ـ لبنان ، 1980 ، ص 22 .

[5] من الميزابيين الذين تصدروا للتدريس بجربة : يوسف بن محمد المصعبي المليكي ت 1775 م و ابنه محمد بن يوسف ت 1783 م حيث درس الأول و ترأس حلقة العزابة ؛ أما ابنه فقد تولى مناصب منها : رئاسة مجالس العلم ، التدريس ، الفتوى بمدرسة الجامع الكبير بجربة . للمزيد عن حياة ونشاط الر جلين بجربة أنظر : محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص ص 335 - 337 .

[6] نفسه ، ج 2 ، ص 280 .

كان وفود سعيد الجربي على الميزابيين كمصلح اجتماعي ومربي باعث للحركة العلمية بالمنطقة ، و في رحلته هذه صحب معه عالمان آخران من جربة وهما : الشيخ دحمان الذي استقر بتورة ـ قرية من قرى ميزاب ـ ، وكذا الشيخ الحاج ابن سعيد من جبل نفوسه .[1]

وقد كان حضور عمي سعيد بميزاب من خلال عدة أمور حيث تصدر للتدريس بالمنطقة [2] ، وقام بوضع خطبتي العيد اللتين مازالتا تقرآن الآن ، ويقال أنه هو الذي وضع ذكر السلام الذي يقرأ بعد صلاة الصبح في منطقة وادي ميزاب [3]، غير أن أهم أمر قام به الرجل هو تركه لمكتبة ـ محتوية على نفائس الكتب ـ موقوفة على دار التلميذ بغرداية [4].

.[4]

أما بالنسبة لطلبة العلم من إباضية جربة فقد رحل داود بن ابراهيم التلالي الجربي الإباضي في سنة 1554 م/ 961 هـ إلى وادي ميزاب وأخذ عن الشيخ عيسى بن اسماعيل المليكي الميزابي ، والشيخ سعيد بن علي المذكور سابقا [5].

كانت هذه إذن بعض النماذج من تواصل العلماء المغاربة الثقافي بالجزائر خلال العهد العثماني ، وسنتعرف فيما يلي على نشاط العلماء المغاربة في الجزائر من حيث الوظائف والمهام التي كلفوا بها .

3 ـ العلماء المغاربة في الجزائر ـ الوظائف والمهام ـ :

انطلاقا من أن " العالم لا تحده حدود ، ولا تعرقله قيود...و[بأن]عالمه أوسع من كل العوالم ، وبمقدار ماله من العلم والأدب وحسن السيرة يكون جاهه وتكون منزلته ، داخل بلده ، وخارجها ..."[6] ، تنقل العلماء المغاربة بين بلدان شمال إفريقيا لتكون لهم مكانة في

[1] محمد محفوظ ، مرجع سابق ج 2 ، ص 280 . .
[2] نفسه ، ج1 ، ص 178 .
[3] نفسه ، ج 2 ، ص 380 .
[4] نفسه ، ج 2 ، ص 281 .
[5] نفسه، ج1 ، ص ص 177 - 178 .
[6] علي الشريف الطيب ، "ملامح ثقافية من علماء ليبيا وأدبائها في العصور الإسلامية "، مجلة آفاق الثقافة التراث، (دبـي)،ع 29-30 /2000 ، ص 147 .

البلد الذي تنقلوا إليه ، فمنهم من ترقى في المناصب وهناك من تقلد العديد منها في البلد الذي تنقل إليه .

وقد شهدت جزائر العهد العثماني تقلد مغاربة لمناصب بها وأغلب المناصب التي تقلدها العلماء المغاربة هي: التدريس والقضاء . كما نجد أن العديد من العلماء المغاربة قد كلفوا بمهام في الجزائر سواء من السلطة القائمة أو من سلطات بلادهم وسنذكر بعض النماذج عن هؤلاء العلماء . ولعل أشهر هؤلاء هو الشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي ت 1555م/ 963هـ [1].

أ ـ **محمد بن علي الخروبي الطرابلسي في الجزائر ـ نموذج العالم العامل ـ :** كان الخروبي مثال رمز وعلم جسد وحدة الحقل الثقافي المغاربي ، وذلك من خلال تنقله بين العواصم أين كان له حضور فيها بمناظراته ومجالسه العلمية [2]، وخلال مكوثه بالجزائر كسب جاها عظيما عند ولاة الأمور بها فقد كانت له دراية واسعة في شؤون الإدارة والسياسة [3]. مما أهله لتولي بعض المناصب بها ؛ حيث تولى الخطابة [4] والتدريس لتأخذ عنه جماعة من أهل الجزائر.[5]

---

[1] الخروبي : ولد بقرية قرقارش إحدى ضواحي طرابلس ، أخذ علومه الأولى عن مشايخ طرابلس ، ارتحل إلى الجزائر وكانت له مكانة عند أمرائها أرسل إلى المغرب الأقصى من أجل سفارة بين البلدين . وقد تصدر للتدريس في الجزائر وأفاد منه العديد من الطلبة بالجزائر والمغرب ، ترك مؤلفات عديدة في الفقه والحديث والتصوف . علي الشريف الطيب ،مرجع سابق ، ص 147 ، نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 195 . أنظر ترجمته كذلك : ابن عسكر ، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تح.: محمد حجي، ط2 ، دار المغرب، الرباط ـ المغرب: 1977، ص ص 126 ـ 127 ، وكذا : القادري ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 1117 .وكذا : محمد بن محمد مخلوف ، مصدر سابق ،ج 1 ، ص 284 . وكذا :ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 70 .وكذا : عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 132. وكذا : مسعود كواتي و محمد الشريف سيدي موسى ، مرجع سابق ، ص 115 .

[2] دلندة الأرقش و أخران ، مرجع سابق ، ص 300 .

[3] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ص 58 ـ 59 .

[4] عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 132 . ، مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى ، مرجع سابق ، ص 115 .

[5] محمد بن محمد مخلوف ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 284 .

على أن أهم نشاط قام به الخروبي في الجزائر هو سفارته للصلح بين السلطان العثماني سليمان و الأمير المغربي أبو عبد الله الشريف في عام 1551 م/ 959 هـ [1] ، وخلال سفارته تلك كانت له مراسلات مع علماء المغرب الأقصى [2] ، بأن أرسل إلى فقهاء فاس " رسالة في الإغلاس إلى خواص مدينة فاس " ذكر فيها آدابا على القواعد الخمس [3].

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الخروبي قد ترك عدة مؤلفات بالجزائر بعد وفاته ، وقد غلب عليها الطابع الصوفي [4] ، هذا ونسب للرجل تفسير للقرآن جليل [5] جاء تحت عنوان : " رياض الأزهار وكنز الأسرار " [6] جمع فيه بين الشريعة والحقيقة " ... فيعتمده كل طالب طالب نجيب وكل صوفي لبيب ... " [7].

ب ـ العلماء المغاربة بالجزائر والتدريس : وكما كان للخروبي حضور بالجزائر العثمانية من خلال التدريس والنشاط السياسي كان لعلماء مغاربة آخرين حضور كمدرسين كذلك ونذكر منهم : أبو الحسن علي بن عبد الواحد السجلماسي ت 1647م/1057 هـ [8]

---

[1] ابن عسكر ، مصدر سابق ، ص127 . أنظر كذلك مصادر ترجمته المحال إليها والتي وردت في هامش الصفحة السابقة .

[2] ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 70 .

[3] ابن عسكر ، مصدر سابق ، ص 9 . وقد أحدثت هذه الرسالة مناظرات بين الخروبي وبعض من فقهاء المدينة ومنهم عبد الله الهبطي و أبو عبد الله اليسيثني في الجزء المتعلق بالنفي في الهيللة . نفسه . وقد حفزت هذه المناظرة علم الكلام بين العلماء في ذلك الوقت . عن هذه المناظرة أنظر : عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 240 - 241 . وعن محتوى الرسالة أنظر : نفسه ، ج 2 ، ص ص 367 - 373 .

[4] من هذه المؤلفات نذكر : مزيل اللبس عن آداب وأسرار القواعد الخمس ، شرح صلاة ابن مشيش ، شرح أصول الطريقة لزروق ، شرح الحكم لابن عطاء ، كفاية المريد وحلية العبيد... عن هذه المؤلفات وأخرى أنظر : محمد الشريف ناصر الدين ،الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيارق، الأردن ـ لبنان، 1999 ، ص ص 157 - 160 , وكذا :القادري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 1724 , وكذا : أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 134 ، و : عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 132 .

[5] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 195 . ويقع هذا التفسير في ثمانية أجزاء توجد نسخة منه بدار الكتب المصرية وهذه النسخة كانت وقفا على زاوية الأندلس بالجزائر . محمد الشريف ناصر الدين ، مرجع سابق ، ص ص 157 - 160 .

[6] نفسه ، ص ص 157 - 160 .

[7] نفسه ، ص 159 .

[8] علي بن عبد الواحد السجلماسي : نشأ بسجلماسة ثم رحل إلى فاس ومنها إلى الحجاز دخل مصر ودرس على بعض أشياخها ، ليعود ويستقر بالجزائر والتي مكث بها إلى أن توفي . ترك مؤلفات في السيرة والعقائد والفقه . للمزيد عن الترجمة أنظر : أبو القاسم الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص ص

والذي استقر بالجزائر بعد رحلات كثيرة في بلاد المشرق ؛وقد اشتغل هذا الرجل بالتدريس[1] فكان من تلامذته : أبو مهدي عيسى الثعالبي ، أبو عبد الله الموهوب ، يحيى الشاوي[2] و عمر المانجلاتي الذي لازمه أربع عشرة سنة [3] ... وغيرهم كثير. أما ما درسه الرجل بمدينة الجزائر فمن خلال إجازته للمانجلاتي يتضح بأنه كان يدرس : الأصول ، البيان ، المنطق ، الحديث ، الفقه ، التصوف [4].

ومن العلماء المغاربة كذلك نجد محمد الفاسي والذي تصدر للتدريس في منطقة زواوة وممن أخذ عليه نجد التونسي : أحمد برناز [5] ، وسجل كذلك اسم عالم مغربي ضمن علماء مدينة الجزائر خلال القرن 17 م/ 11هـ وهو الشيخ محمد المغربي ت 1677 م/1088 هـ [6] وقيل بأنه " صاحب علم و مكارم أخلاق " .[7]

ـ المدرسون المغاربة في مدينة قسنطينة من خلال منشور الهداية[8] : أما مدينة قسنطينة فقد كانت هي الأخرى مستقرا لبعض العلماء خلال القرن 17 م/ 11 هـ والذين كان لهم حضور ثقافي بالمدينة ، وقد ربطتهم علاقات مع الفكون الذي تحدث عنهم في كتابه منشور الهداية .

من هؤلاء العلماء نذكر الشيخ محمد بن مزيان التواتي كان قد تنقل بين: فاس ، زواوة ، نقاوس ، قبل أن يستقر بقسنطينة والتي تصدر للتدريس بها وكانت مشاركاته في الأصول

---

69 - 72 . وكذا : نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ص 195 - 197 ، ابن ميمون ، مصدر سابق ، م.مح. ، ص ص 72 - 73 .

[1] نور الدين عبد القادر، مرجع سابق ، ص 195 .

[2] ابن ميمون ، مصدر سابق ، م. مح. ، ص 73 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 40 .

[4] أبو القاسم الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 298 .

[5] محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 93 .

[6] أبو القاسم الحفناوي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 471 .

[7] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 198 .

[8] منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية ، كتاب لعبد الكريم الفكون ألفه خلال القرن : 17 م يحتوي هذا الكتاب على تراجم لعلماء مروا على مدينة قسنطينة وقد فرق فيه المؤلف بين العلماء من حيث مصداقيتهم فقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول الأول عنونه بـ : فيمن لقيناه من العلماء والصلحاء المقتدى بهم ومن قبل زمنهم ممن نقلت إلينا أحوالهم وصفاتهم تواترا . أما الثاني : فيمن تعاطى المنصب الشرعي لادعاءه العلم ، وهم كل من ادعى ما لا يصح له من خطة وتدريس وغيرهما إلا قليلا وفي الحديث كلابس ثوب زور . أما الثالث فكان : فيمن ادعى الولاية من الدجاجلة الكذابين والمتشدقة والمبتدعة الضالين المضلين .

والمنطق والبيان كما كانت له دراية بعلم القراءات [1] ، " وتظهر أهمية التواتي ... في تخريج أحد كبار النحاة الجزائريين وهو عبد الكريم الفكون ... "[2] والذي وصف اجتهاد شيخه بأن قال : " وكانت أحواله لا تراه إلا مطالعا أو ناسخا وقل ما تجده متفرغا من ذلك " [3] وذلك ما أكسبه حضورا وجاها بين علماء قسنطينة في ذلك الوقت .

وقد كانت للتواتي مناظرة في النحو مع ابن راشد ؛ كان محورها يدور حول اعتماد المصادر في النحو ذلك أن ابن راشد يعتمد على كتاب مغاير والذي كان تحت عنوان شرح الجمل لابن بابشاذ ، بينما اعتمد التواتي على كتاب سراج التسهيل فوقع الإختلاف بين الرجلين .[4]

فإذا ما نال الشيخ التواتي حظوة لدى علماء قسنطينة وعلى رأسهم عبد الكريم الفكون ، فنجد أن محمد السوسي والذي تصدر للتدريس بالحاضرة لم يكن بمنزلة التواتي لدى الفكون ، فرغم اهتمامات الرجل بالنحو والفقه إلا أن صاحب منشور الهداية أدرجه ضمن مدعي العلم ؛ حيث لم يرض على طريقة تدريسه واعتبر بأنه لم يبلغ بعد مبلغ التدريس [5].

الحاصل أن السوسي كان ممن اشتهر من المدرسين بقسنطينة القرن 17 م / 11 هـ حتى قيل بأنه :" ... كان أستاذا مقرئا مجودا [محققا ، له إدراك ، نقل كلامه ...عبد الكريم الفكون ...في كتابه محدد السنان في نحور إخوان الدخان...] ..."[6]. لم يكمل السوسي بقية حياته بقسنطينة فقد سافر إلى الجزائر طالبا منصب الفتوى لكنه توفي قبل أن يحقق مراده[7] مراده[7] ، وكانت وفاته في عام1614م/ 1023هـ .[8]

ومن العلماء الذين تحدث عنهم الفكون كذلك محمد الفاسي والذي قرأ عليه الفكون بعض مسائل الإسطرلاب وبعضا من الفرائض ؛ غير أن الفكون رجع وشكك في علم الرجل بأن

---

[1] الفكون ، مصدر سابق ، ص 58 .
[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 159 .
[3] الفكون ، مصدر سابق ، ص 59 .
[4] نفسه ، ص ص 107 - 108 .
[5] نفسه ، ص ص 72 - 74 .
[6] القادري ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 1220 .
[7] الفكون ، مصدر سابق ، ص 74 .
[8] القادري ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 1220 .

قال بأن الفاسي المذكور لا يعرف " معاني الألفاظ ولا الصناعة الكسورية " ليهجر مجلسه العلمي بعد اشتهار أمره .[1] وتحدث الفكون كذلك عن ابراهيم الفلاري التونسي الذي نزل بالحاضرة فخالط أدباءها وفقهاءها ؛ فكان ممن خالطه أبو زكريا يحيى المحجوب ، وكانت له مع الفكون محادثات في مسائل نحوية .[2] كانت هذه إذن بعض المشاركات من العلماء المغاربة في التدريس بحاضرة قسنطينة خلال القرن 17 م/11 هـ والتي وردت في كتاب منشور الهداية ؛ وفيما يلي سنورد نماذج عن المدرسين بالجزائر خلال القرن الموالي .

ـ العلماء المغاربة والتدريس في الجزائر خلال القرن 18 م/12 هـ : خلال هذا القرن دخل بعض العلماء المغاربة إلى الجزائر واشتغلوا بالتدريس لكن عددهم كان قليلا بالمقارنة مع القرن السابق ؛ وممن اشتهر بالتدريس نجد الشيخ الورززي المغربي الذي دخل مدينة الجزائر في سنة 1746 م/ 1159 هـ لكنه لم يطل الإقامة بها حيث غادرها في نفس السنة [3]، وكان الورززي قد ألقى دروسا في التفسير بالمدرسة التابعة للجامع الكبير ومن السور التي فسرها سورة الفاتحة حيث اعتمد على تفسير الزمخشري والمعنون بالكشاف .[4]

هذا وقد كان لطلبة العلم الجزائريين احتكاك بالرجل خلال فترة مكوثه بالمدينة وممن لازمه نجد ابن حمادوش صاحب الرحلة ، فقد ذكر الأخير في رحلته هذه أن الورززي أجاز له عن تأليفه [5] الدرر على مختصر محمد السنوسي في المنطق [6] ، وشهد له بالبراعة بالبراعة في معالجة الموضوع [7] . ونجد أن ابن عمار الجزائري صاحب نحلة اللبيب قد قدم قدم وصفا عن تمكن الورززي من العلوم ـ وذلك عندما شهد لابن حمادوش عن مؤلفه المذكورـ بأن قال : " ... عالم قطر المغرب قاطبة ومدرسه ، وباني ركن العلم ومؤسسه ببلدتنا الجزائر المحروسة ... " [8] ؛ وهذا ما يدل على مكانة الورززي كمدرس بالجزائر .

---

[1] الفكون ، مصدر سابق ، ص 61 .
[2] نفسه ، ص 110 - 112 .
[3] ابن حمادوش ، مصدر سابق ، ص ص 258 - 263 .
[4] نفسه ، ص 263 .
[5] أنظر نص شهادة الورززي على تأليف ابن حمادوش كاملا في الملحق رقم : 4 .
[6] نفسه ، ص 258 - 259 .
[7] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 152 .
[8] نقلا عن : ابن حمادوش ، مصدر سابق ، ص ص 260 - 261 .

و بتلمسان كان أبو القاسم الزياني ـ صاحب الترجمانة الكبرى ـ قد درس واستفاد وأفاد بها ، حيث قال : "ولما نزلت جوار أبي مدين بالعباد ... انهال علي طلبة البلاد ... وقصدونا للأنس والمذاكرة ...وأتحفونا بما عندهم من كتب الأخبار..."[1] ،أما عبد الرحمان الجامعي المذكور سابقا فقد اشتغل هو الآخر بتدريس مادتي النحو والبيان بالحاضرة [2] .

ج ـ العلماء المغاربة بالجزائر ومنصب القضاء :

يعد منصب القضاء من بين أهم المناصب المتاح للعلماء توليها وذلك لحساسيته وكان عدد المغاربة الذين تولوا هذا المنصب قليلا جدا نذكر منهم : أبو عبد الله المكنى بالطرابلسي المتوفى ببجاية سنة 1588م/997 هـ ذكر ابن القاضي بأن الرجل تولى قضاء الجماعة ولكنه لم يفصل في المنطقة التي تولى بها.[3] كما ذكر الزياني قاضيا بمدينة الجزائر الجزائر واسمه : محمد بن مالك وقال بأن أصله مغربي تولى القضاء في عهد حسن باشا [4].

أما خلال القرن 17 م/ 11هـ فقد تولى الشيخ محمد الزيتوني التونسي [5] قضاء الحنفية و و أرسل مع الوفد [6] الذي كلفه الداي شعبان خوجة إلى محلة الشرق الثائرين على الداي المذكور في سنة 1695 م/1106 هـ ، وقد كلف الوفد بتهدئة الأوضاع لكن الأمر انتهى بعزل الداي المذكور قبل وصول الوفد إلى الشرق .[7] ومع بداية القرن الموالي وبالضبط على عهد الداي محمد بكداش(1707-1710م) تولى أبو حفص عمر بن محمد التونسي

---

[1] مصدر سابق ، ص 144 .

[2] محمد المنوني ، مرجع سابق ، ص 78 .

[3] مصدر سابق ، ج 3 ، ص 68 .

[4] مصدر سابق ، ص 151 . وقد تحدث ابو راس المعسكري عن الرجل حيث قال بأنه نزل عنده عندما ذهب إلى مدينة الجزائر أين حضر عند القاضي المذكور علماء كانت للمعسكري محادثات معهم . أبو راس المعسكري ، فتح الإله ومنته ـ في التحدث بفضل ربي ونعمته ـ ، تح. : محمد بن عبد الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، [1986]، ص 91 .

[5] رشيدة شدري معمر،العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر ـ فترة الدايات (1671-1830م)- ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر، 2005- 2006م . ص 113 .

[6] تكون الوفد من : موسى باشا ، والمفتيين : محمد بن سعيد عن المالكية و حسين بن رجب شاوش عن الحنفية ، والقاضيين محمد بن الحاج عن المالكية و محمد زيتون عن الحنفية .

[7] ابن المفتي ، مصدر سابق ، ص 57 .

قضاء العسكر ، وقد حاز هذا الرجل مكانة مرموقة بفضل علمه ؛ وصفه ابن ميمون بالحياء والعلم والذكاء والفهم .[1]

وهناك بعض المناصب تولاها مغاربة كالتونسيين : محمد الشافعي الباجي و أحمد الأصرم القيرواني والذين استقرا بالجزائر مع أبناء حسين بن علي ، وبها احترفا ببث العلم و صناعة التوثيق [2] ، هذا وقد ذكر أن الأصرم المذكور كان قد تصدر للإشهاد بالجزائر .[3]

.[3]

د ـ نشاطات أخرى للعلماء المغاربة بالجزائر :

بالإضافة إلى تولي المناصب سجل العلماء المغاربة بالجزائر أنشطة ثقافية ، من ذلك بعض القصائد الشعرية كالتي كتبها أحمد بن عبد الله الدلائي في منفاه تلمسان وعرفت بالتلمسانيات [4] ومن القصائد التي كتبت بتلمسان قصيدة أحمد بن أحمد الدلائي التي عبر فيها فيها عن حنينه واشتياقه لموطنه الأصلي دلاء [5] :

أريحا سرت بين الحدائق والنهــر   معنبرة الأذيال من نفحة الزهــر

وبانت بوادي الغدر تسحب ذيلها   وللصبح غارات على الأنجم الزهر

ومن القصائد التي كتبت في الجزائر بأقلام مغربية تلك القصائد التي وردت مهنئة بفتح وهران الأول في سنة 1708 م/ 1119 هـ ومنها ما كتبه عبد الرحمان الجامعي الفاسي للداي محمد بكداش مادحا له وقد رسم الجامعي صورة ذلك الفتح بأن أصبحت الجزائر مقصد كل لاجئ ونلمس ذلك من خلال البيت التالي :

وسر بي إلى ذاك الرباط فإنه   ذخيرة ساع للجهاد وزائر [6]

---

[1] ابن ميمون، مصدر سابق ، ص 149 .
[2] دلندة الأرقش وآخران ، مرجع سابق ، ص 301 .
[3] محمد محفوظ ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 51 .
[4] محمد حجي ، مرجع سابق ، ص 239 .
[5] عن هذه القصيدة كاملة أنظر ملحق رقم : 5 .
[6] عن هذه القصيدة أنظر الملحق رقم :6 .

وبطريقة أخرى للتهنئة قام الجامعي بشرح أرجوزة الحلفاوي [1] وذلك بطلب من الحلفاوي نفسه [2] ؛ وقد اعتمد الجامعي في شرحه للأرجوزة على الاستشهاد بالشعر الملحون [3] ، كما نظم خمسة أبيات من نفس بحر الأرجوزة أضافها لها[4] ، وفي هذا الشرح الشرح أورد معلومات عن حياة الحلفاوي بالإضافة إلى قصيدتين لابن أبي محلى يستصرخ فيها القبائل والأتراك لإنقاذ وهران من احتلال الأسبان .[5]

ومما سجله الجامعي على أرجوزة الحلفاوي في شرحها انتقاده لعدم وجود فصل عن السلطان العثماني الذي تم على عهده فتح وهران لذلك استدرك الأمر بأن وضع أبياتا أشاد فيها بفضل آل عثمان، كما انتقد الجامعي شيخه الحلفاوي بإكثاره من المحسنات البديعية [6] .

.

كان هذا بالنسبة للجامعي [7] ، أما أبو العباس أحمد بن القاضي المعروف بابن أبي محلي فقد كتب قصيدة ميمية حرض فيها على فتح وهران من أبياتها :

وجنـد بنـي عثمـان فـي كل قائـد ‏ ‏ ‏ ‏ جيوش كموج البحر عند التلاطم

يريدون من وهران ما سبق القضا ‏ ‏ ‏ ‏ بتنفيـذه للوقـت فـي جفر عالـم [8]

ومن أبياتها المحرضة على فتح وهران قوله :

---

[1] أرجوزة الحلفاوي : نظمها مفتي تلمسان وخطيبها الشيخ : أبو عبد الله محمد بن أحمد الحلفاوي ، وهي تحتوي على 72 بيتا ، جاء في الفصل الأول منها : ذكر دولة بكداش في الفصل الثاني : وصف تجهيز الجيش وتوجهه لوهران أما في الثالث : فقد ذكر كيفية محاصرة المدينة وبروجها وفي الرابع : وصف المسلمين الفاتحين والإسبان المطرودين أما في الفصل الخامس و الأخير فجاء فيه الثناء والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم . ابن ميمون ، مصدر سابق ، ص ص 249 ـ 259 .وكذا : أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص336 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ج2 ، ص 337 .

[3] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق، ج2 ، ص 243 .

[4] ابن ميمون ، مصدر سابق ، إ.مح.، ص 249 .

[5] محمد المنوني ، المصادر العربية لتاريخ المغرب ـ من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ـ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ـ المغرب، 1983، ج1، ص 162.

[6] أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 337 .

[7] أورد الجامعي نشاطه الأدبي بالجزائر من خلال الحواضر التي زارها في كتابه المسمى : نظم الدرر المديحية في محاسن الدولة الحسينية . محمد المنوني ، المصادر ، مرجع سابق ، ص 215 .

[8] ابن ميمون ، مصدر سابق ، ص 299 .

ألستـم من أخذتـم دار ملككم التي   من أشراطها وهذه في العلائم

وقوله: وفي مغرب البدريـن نشـر بنـوده   وأعجزكم وهران من مستغانم

بني الأسد الهصار ما الذل شأنكم   ولا حظكـم من داهـم متفاقـم[1]

وبالإضافة إلى هذه الأنشطة التي اتسمت بالطابع الأدبي ، وجدت أنشطة أخرى منها تفاعل بعض المغاربة مع واقع الأوضاع بالجزائر ومنها ما كان من الزياني صاحب الترجمانة حيث أعجب بما أنجزه داي الجزائر حسن باشا حين أنشأ الجامع فما كان من الزياني إلا أن أرخ عمل الداي برسالة عن أهمية العمل وقد مدح في هذه الرسالة المسجد وبانيه [2] ، وتطرق فيها إلى أعمال الداي خدمة للبلاد والعباد ثم تطرق فيه لبناء المسجد ووصفه كما طرز رسالته هاته ببعض الأبيات الشعرية في مدح المسجد وبانيه [3] .

ـ نشاط العلماء المغربيين في ركب الحجيج : في إطار ركب حجيج المغاربة والذي ينطلق من المغرب الأقصى اتجاه البقاع المقدسة ؛ زاول العلماء أنشطتهم الثقافية من أسئلة ونوازل وإجازات واستجازات . ففي محطات الركب بالجزائر نزل العلماء واختلطوا بساكنة هذه المناطق ؛ فالعياشي تحدث عن ورود نازلتين في الفقه واحدة في الأحباس والأخرى في البيوع من رجل يدعى محمد بن محمد بن علي على الركب عند توقفه بإحدى قرى توات .[4]

.[4]

كما تحدث عن مناقشة طلبة العلم له في بعض المسائل ومنها ما كان عند نزول الركب بتكرت في طريق الذهاب حيث ورد عليهم محمد بن عبد الكريم وهو طالب علم مستفسرا عن معنى حديث نبوي .[5] وقد ظل طلبة العلم بالمنطقة يترددون على علماء الركب مدة إقامتهم بالمنطقة ، وحدثت بينهم تبادلات بالتآليف حيث وهب العياشي كراسا من تأليفه للسيد محمد بن ابراهيم الذي أهداه هو الآخر مجموعا من عدة تآليف سُرَّ بها العياشي .[6] كما

---

[1] نفسه ، ص 300 . عن القصيدة أنظر : نفس المصدر ، ص ص 299 - 300 .

[2] الزياني ، مصدر سابق ، ص 375 .

[3] للإطلاع على محتوى الرسالة كاملا أنظر ملحق رقم : 7 .

[4] العياشي ، مصدر سابق ،ج 1 ، ص ص 81 - 83 .

[5] نفسه ، ج1 ، ص 120 .

[6] نفسه ، ج 1 ، ص 121 .

كان علماء بالركب يبتاعون ويبيعون الكتب[1] وهذا ما يزيد في انتشار عناوين الكتب ورواجها ببلدان المنطقة.

ومن الإجازات التي تمت بالركب إجازة عبد القادر بن شقرون الفاسي للفقيه خليفة بن حسن القماري حوالي عام 1779 م/ 1193هـ ببسكرة ، وقد كانت الإجازة على ما نظمه القماري عن مختصر خليل ، هذا وقد وصف عبد القادر الرجل بأنه فارس من فرسان البراعة [2] كما وصف تأليفه المذكور بـأنه : "... عذب الموارد مهذب المقاصد سلس العبارة رائق الإشارة ... " [3]

ـ العلماء المغاربة في الجزائر بين المهمة السياسية والانشغالات الثقافية: خلال العهد العثماني كلف العديد من العلماء المغاربة من طرف السلطة المحلية لبلدهم الأصلي ببعض المهام ذات الطابع السياسي ، والتي تتعلق في كثير من الأحيان بترقيع العلاقات المتوترة بين سلطاتهم المحلية والسلطة القائمة بالجزائر آنذاك .

وقد كان لهذه الشخصيات لقاءات بالمشايخ بالجزائر وهذا ما كان عند ورود الشيخين أبو إسحاق إبراهيم الغرياني و أبو محمد تاج العارفين ممثلين عن عسكر تونس على عسكر الجزائر وذلك عقب حرب عام 1627 م/ 1037 هـ وبعد تذاكرهما مع أبي العباس أحمد بن الحاج ممثل الجزائريين [4] ، وقد تطرق هؤلاء لمسائل تتعلق بالثقافة أين حدثهم بن الحاج الحاج عن عبد الكريم الفكون وعلمه [5] ؛فما كان منهما إلا أن راسلاه كما أشرنا إليه سابقا في العنصر المتعلق بالمراسلات .

---

[1] ذكر العياشي بأنه أراد في طريق العودة النزول في عين ماضي ليبيع كتبا بها . نفسه ، ج2 ، ص 546 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 49 .

[3] نفسه ، ج 2 ، ص 77 .

[4] الفكون ، مصدر سابق ، ص 214 .

[5] نفسه ، 214 - 215 .

كما كان عبد الواحد بن أبو عنان ت 1694 م / 1106 هـ و الذي بعث به السلطان المغربي إلى حاكم الجزائر قد التقى بجماعة من مشايخها [1] . هذا وكان ابن الغزال المغربي الذي بعثه السلطان العلوي سنة 1768 م/ 1182 هـ إلى الجزائر في شأن صلح بين البلدين ، قد حضر درسا لابن عمار الجزائري بالجامع الكبير وأعجب بعلمه فمدحه بقصيدة من أبياتها :

هلمّوا إلى مأوى المفاخر والعلا   هلموا إلى الأسمى ابن عمار أحمد [2]   ومنها :

بوالـــده دينــا وعلمــا اقتـــدى   لقد جـلَّ نجـل كـان بالأب يقتـدي [3]

كانت هذه إذن بعض النماذج لحضور العلماء المغاربة في الجزائر خلال العهد العثماني ، ومن خلال مختلف الأنشطة التي زاولوها يتضح لنا دور العلماء المغاربة في المحافظة على الأواصر البينية لبلدان شمال إفريقيا بطابع ثقافي وقد لاحظنا أهمية ودور العلماء في إرساء معالم وصور التواصل الثقافي من خلال التنقل لطلب العلم والاحتكاك بعلماء الجزائر وكذا ربطهم لعلاقات مع هؤلاء عن طريق المراسلات و النشاط في ركب الحجيج .

وقد يقول القائل أن الأوضاع الثقافية كانت في انحدار شديد ، وأن مستوى نشاط بعض هؤلاء العلماء لم يرق إلى مصاف الدعوات الحقيقية لوحدة بلدان المنطقة ؛ أو حتى لتشجيع التواصل الثقافي بينها .غير أن الأمر وإن تم ببساطة الوضع الثقافي والفكري إلا أنه شجع على الأقل الاحتكاك بين النخب العلمية في ذلك الوقت مما سمح باجتياز عقدة الاختلاف الإيديولوجي بين حكومة البلد الأم و حكومة البلد الآخر.

---

[1] القادري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 1831. أنظر كذلك :محمد بن جعفر الكتاني ، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء و الصلحاء بفاس، تح. : محمد حمزة بن علي الكتاني ، (د. ن.) ، الرباط ـ المغرب ، 2005 ، ج 1 ، ص 217 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 225 .

[3] نفسه ، ج 2 ، ص 227 .

الفصل الثالث :

التواصل الصوفي للمغاربة في الجزائـر

1 ـ زيارات المتصوفة المغاربة للجزائر بين التبرك وأخذ سلك الطريقة .

2 ـ مساهمات المغاربة في خدمة الطرق الصوفية بالجزائر .

شهدت الفترة الحديثة انتشارا كبيرا للمد الصوفي؛ وبالموازاة مع ذلك انتشرت عقلية زيارة الأولياء والتبرك بهم هي الأخرى لتطبع روح العصر ، وتترسخ في المخيال الاجتماعي لشعوب منطقة شمال إفريقيا [1] ، فكثيرا ما نجد في تراجم العلماء تكرارا لبعض التعابير والكلمات كـ: شدَّ الرحال لزيارة سيدي فلان...، فلقي بعض الصلحاء من بلاد كذا..، ليأخذ ورد الطريقة من سيدي قطب الأقطاب...وهلم جرا[2].

و" التصوف المغاربي سواء من حيث أقطابه ومذاهبه ونظمه الطرقية لا يخضع لإكراهات الجغرافية السياسية سواء الوطنية الحديثة أو السلطانية العصبياتية القديمة " [3] ؛ فمن هذا المنطلق نجد الكثير من الرحلات طويت فيها المسافات [4] بحثا

---

[1] أكدت الدكتورة منال عبد المنعم جاد الله أن : " الاعتقاد في الأولياء والبركة هو من معالم التصوف الماضي و الحاضر في المغرب " . أنظر دراستها الموسومة : التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ـ مصر: [1997] ، ص 158 ، وعن الإعتقاد في سيدي عبد الرحمان بوقبرين وخليفته علي بن عيسى ـ كمثال ـ أنظر : حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تح. : محمد العربي الزبيري ، ط 2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الرغاية ـ الجزائر ، 1982 ، ص 58 .

[2] ونجد مظاهر ذلك في كتب التراجم كـ : درة الحجال. ، دوحة الناشر. ، منشور الهداية. ، سلوة الأنفاس. ، فهرس الفهارس. ...

[3] محمد الطيبي : الجزائر عشية الغزو الإحتلالي ـ دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات ـ ، ط1 ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر : 2009 ، ص 63.

[4] ومن أمثلة ذلك : أبو عبد الله محمد صالح الرضوي ت 1263هـ أصله من سمرقند دخل بخارى ، الهند ، اليمن الحجاز ، تونس ، الجزائر ، مصر ، المغرب الأقصى عنه أنظر:عبد الحي الكتاني ،مرجع سابق ، ج1، ص431. و مثله أحمد التيجاني تنقل بين بلاد الحجاز ، مصر ، تونس ، المغرب الأقصى بحثا عن التصوف عنه أنظر : Depont ,Octave et Xavier Coppolane : les

عـن مهذبـات لسلوك الصوفـي ، ولا غرو إذن أن نجـد مغاربة في الجزائر تنقلوا رغبة في أخذ سلك طريقة صوفية أو حتى لالتماس البركة من أرباب الزوايا وأوتاد الولاية .

وقد وضع المغاربة بصمات لهم في تاريخ التصوف بالمنطقة في فترة الدراسة، وفي هذا الفصل سيتم التحدث عن حضور المغاربة الصوفي وعن نشاطهم وذلك من خلال النقـاط التاليـة:

- الـزيارة : إما تبركا بأولياء كانوا بالجزائر، وإما لأخذ سلك الطريقة ومعرفة أسرار الحقيقة.

- خدمة الطريقة الصوفية : سواء كانت هذه الطريقة أصلية أم وافدة وذلك من خلال مزاولة النشاط كـ: مقدمين؛ مريدين؛ ولم لا كـ: مؤسسي زوايا أو حتى طرق صوفية ذات بعد مغاربي !.

1 ـ زيارات المتصوفة المغاربة للجزائر بين التبرك وأخذ سلك الطريقة.

لم تكن سياحة الأفراد المتصوفة مرتبطة بفترة زمنية معينة بالقدر الذي كانت فيه مرتبطة بظهور التصوف في شمال إفريقيا ، ولنا أمثلة كثيرة عن أوائل السائحين فـي بلدان

---

confreries religieuse musulmanes , imp. Adolphe Jourdan ,Alger :1897 ,P 416 .

شمال إفريقيا كشخصية : أبو الفضل النحوي[1] ، أبو الحسن الشاذلي[2] ، أبو مدين شعيب [3]... والأمثلة كثيرة جدا.

فإذا ما ذكر ابن مرزوق سابقا كنموذج للسياحة العلمية خلال القرن 15 م، ففي التصوف تذكر شخصية إبراهيم التازي[4] المغربي - تلميذ محمد الهواري [5] - والذي استقر رفقة شيخه بوهران ليكون له نشاط خدمة لطريقة شيخه . و ما يسجل على التازي من نشاط هو أنه قد أصبح في حد ذاته من أشهر المتصوفة بالجزائر حيث أنشأ زاوية عرفت

---

[1] أبو الفضل النحوي : يوسف بن محمد بن يوسف ، صاحب قصيدة المنفرجة كان عالما بأصول الدين والفقه هو أصله من توزر عاش بقلعة بني حماد وتوفي بها ، دخل سجلماسة وفاس وكان من المهتمين بتراث الغزالي . توفي سنة513 هـ . أنظر : ابن مريم ، مصدر سابق ، ص ص 299 - 304

[2] أبو الحسن الشاذلي : علي بن عبد الجبار من أشهر المتصوفة بالمغرب العربي تنسب له طريقة صوفية، ولد 593 هـ بغمارة من بلاد المغرب ، رحل إلى العراق طلبا لمعرفة أسرار الطريقة وهناك التقى بصفوة العلماء منهم : أبو الفتح الواسطي . عاد إلى المغرب ليلتقي بالشيخ عبد السلام بن مشيش ، وقد نصحه الأخير بالسفر إلى افريقية - تونس - والإقامة بشاذلة ، فسافر واتخذ جبل زغوان مقرا للتأمل والعبادة . وقد أخذ شهرة كبيرة بين الناس لذلك حيكت له التهم بأنه من دعاة الفاطمية ؛ فسافر إلى مصر حيث ألقى دروسا بمسجد العطارين . أنظر : مأمون غريب : أبو الحسن الشاذلي - حياته ، تصوفه ، تلاميذه وأوراده - ، دار غريب ، القاهرة - مصر : 2000 , ص ص 14 - 20 .أنظر كذلك : Depont, op. Cite , P P 444- 445

[3] أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي الاشبيلي ت 594هـ من أشهر المتصوفة بالمغرب العربي ، ولد ببجاية ونشأ بها ثم رحل إلى المشرق وأخذ عن عبد القادر الجيلالي ؛ رجع إلى المغرب وتبرك بأبي يعزى ، قرأ بفاس ، ثم استوطن بجاية ولم يزل بها حتى بعث إليه يعقوب المنصور في القدوم إليه فسار إليه ولما بلغ حوز تلمسان مرض وتوفي بها ليدفن بالعباد أنظر : محمد الكتاني ، مرجع سابق ، ج1 ،ص ص 413 - 415 .انظر ترجمته كذلك في المقري ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح. : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت - لبنان : 1988 ، ج 7، ص ص 136- 144 أنظر كذلك : ابن مريم ، مصدر سابق ، ص ص 108 - 114 .

[4] ابراهيم التازي : ابراهيم بن محمد بن علي اللنتي التازي أحد أقطاب التصوف قرأ عن شيوخ بالمغرب ومكة والمدينة وتونس وتلمسان ، ثم توجه إلى وهران لزيارة الشيخ محمد الهواري فلازمه وخلفه أخذ عليه كثير من الرواد منهم : الحافظ التنسي ، الإمام السنوسي ، الشيخ أحمد زروق ... وغيرهم . توفي سنة 866 هـ ، وقد ترك قصائد في التصوف والمدائح النبوية . أنظر : ابن مريم ، مصدر سابق ، ص ص 58 - 63. وكذا : أبو القاسم الحفناوي، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 7 - 12 .

[5] محمد الهواري: أبو عبد الله محمد بن عمر الهواري ، ولي صالح كثير السياحة في الأرض : زار المشرق والمغرب حيث دخل فاس ،بجاية ، مصر ، مكة ، الشام ، ثم استقر بوهران مثابرا على العلم والعمل وقد توفي بها سنة :843 هـ . ابن مريم ، مصدر سابق ، 228 - 236 . أنظر كذلك : أبو القاسم سعد الله ، ج 1 ، ص ص 95 - 96 ؛ ص 100 .

بالتازية [1] كما أنه صار يلبس خرقة الصوفية للمريدين، ومن أشهر من ألبسهم الخرقة في ذلك الوقت تلميذه : محمد بن يوسف السنوسي.[2]

وامتدادا لذلك وفي العهد العثماني تنقلت بعض الشخصيات الصوفية المغاربية إلى الجزائر نظرا لوجود بعض المحفزات : كوجود السند لدى علماء كانوا بالجزائر وكذا لاشتهار أولياء مقصودين للزيارة.

إذا ما أردنا التحدث عن السند الصوفي لدى علماء الجزائر ، وجب التعرف على طبيعة هذا السند ، حيث و بالموازاة مع " ميل التصوف من الرقي إلى الخرافة والاجتهاد من الفتوحات إلى النتوءات " [3] ؛ انتشرت بعض الطقوس في أخذ سلك الطريقة الصوفية كـ : المصافحة [4] والمشافهة والمناولة على الأسودين ولبس الخرقة والبصق في فم المريد وغيرها من الطقوس [5] بالإضافة إلى زيارة الأولياء والتبرك بهم ، وقد وُجدت لهذه الطقوس الطقوس ما يمكن أن نعتبره الآن المرجعية الشرعية لممارستها كتواتر بعض الأحاديث [6] ومرائي الصوفية [7] بين المهتمين بها ؛وبغض النظر عن تأثير هذه الطقوس

---

[1] محمد المنوني ، " ابراهيم التازي ـ نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين ـ " مجلة دعوة الحق ، ،(المغرب)،ع 270 / 1988 ، ص 63 .

[2] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 96 .

[3] محمد الطيبي ، مرجع سابق ، ص 14 .

[4] نذكر هنا نموذج عن سند المصافحة لأحمد بن عبد القادر التاستاوتي ت 1127 هـ ـ وذلك لمعرفة ما كان متداولا بين المتصوفة ـ " له [أي التاستاوتي] سند المصافحة عن عبد الكريم الجريري ، عن سعيد قدورة ،عن سعيد المقري ، عن أحمد حجي ، عن محمد الوهراني ،عن ابراهيم التازي عن صالح الزولوي عن محمد الشريف الحسني الفاسي نزيل الجزائر عن والده عبد الرحمان وعاش مائة سنة وأربعين سنة ، عن أحمد بن عبد القادر القوصي عن أبي العباس الملتم وهو صافح المعمر، وهو صافح رسول الله صلى الله عليه وسلم " . القادري ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 1954 . وهناك نموذج آخر أورده القادري :ج 6 ،ص 2158 .

[5] مسلسل الأسانيد في هذه الطقوس تشبه التي ذكرت عن سند المصافحة .

[6] وكمثال نذكر : حديث الرحمة المسلسل بالأولية : قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " الراحمون يرحمهم الرحمان ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " وقد تواترت رواية هذا الحديث بين الشيوخ وترجع روايته إلى أبي قابوس مولى عبد الله ابن عمرو بن العاص ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .أنظر: ابن حمادوش ، مصدر سابق ، ص 297 ؛ أما عن مناولة الأسودين فروي عن علي كرم الله وجهه قال:" أضافني رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأسودين : التمر والماء ، ثم قال := = من أضاف مؤمنا فكأنما أضاف آدم ...[وفي كل مرة يذكر مزية مناولة الأفراد إلى أن يصل إلى مناولة عشرة أفراد فيقول :]... ومن أضاف عشرة كتب الله له أجر من صلى وصام وحج واعتمر إلى يوم القيامة . " نقلا عن : ابن حمادوش ، نفسه ، ص 303 .

[7] كمثال على ذلك نذكر : رؤيا الشيخ أبو مدين شعيب حتى وإن كانت بعيدة زمنيا إلا أننا نجد لها صدى بين متصوفة فترة الدراسة حيث عززت هذه الرؤيا الاعتقاد في بركة و قطبانية الشيخ أبو مدين :

الطقوس على الاجتهاد العقلي بالمنطقة [1] ، إلا أن الحاصل هو تواترها بين المتصوفة ؛ وحتى لا نبتعد عن المقصود نذكر هنا بعض علماء الجزائر الذين كان مكان في السند الصوفي .

أ ـ علماء الجزائر وسلسلة السند : كما ذكرنا سابقا اشتهرت بعض الشخصيات الجزائرية في السند الصوفي نذكر من أشهرها : سعيد المقري وتلميذه سعيد قدورة ، على أن الشهرة التي نالها كل منهما في التصوف هي الإجازة بسند المصافحة [2] والمسلسل بالضيافة [3] على الأسودين ـ التمر والماء ـ وقد سُجل دخول مغاربة إلى الجزائر طلبا لأخذ هذه الإجازات والأسانيد عن الشيخين المذكورين ـ المقري وقدورة ـ وعن شيوخ آخرين نذكر منهم :

- أحمد بن محمد الشهير بابن القاضي(1552م/960هـ - 1616م/ 1025هـ) كان قد بعث بطلب استجازة 1600 م/ 1009هـ كما ذكرنا سابقا للشيخ سعيد المقري وقد طلب منه الإجازة عن حديث الرحمة المسلسل بالأولية .[4]
- عيسى بن محمد الراسي البطوئي خلال القرن 17 م/ 11هـ: عند وروده تلمسان أخذ عن الشيخ المقري ، كما حضر مجلسا علميا للشيخ محمد أبركان والذي كان هو الآخر ممن اشتهر بمكانته العالية في التصوف ـ بين علماء تلمسان ـ حتى قيل

و نص الرؤية على لسان أبي مدين : " رأيت رب العزة في النوم ، فأوقفني بين يديه وجعل حسناتي عن يميني و سيئاتي عن شمالي ، وقال : ما هذا يا شعيب ؟! ، فقلت : يا رب ؛ هذا عطاؤك وهذا قضاؤك ؛ فعما سؤالك ؟! . قال : يا شعيب ؛ إن لكل شيء مرآة ، فما مرآة ربك ؟ قال فقلت : قلب عبدك شعيب . قال : ادنُ ؛ طوبى لمن رآك ومن رآى من رآك " . محمد الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 414 .

[1] ما يلفت الانتباه حول قضية هذه الطقوس هو أن بعض العلماء قد ألفوا فيها الكتب للتدليل على عدم مصداقيتها ، إلا أن الحاصل هو تواترها بين العلماء فنجد مثلا أن القادري صاحب نشر المثاني أكد أن الإمام الذهبي جزم بعدم وجود المعمر والمصافحة وألف فيها تأليفا ، أنظر : ج 6 ، ص 2160 . إلا أن القادري يورد هذه الأسانيد في كتابه ! ، وقد اعتبر محمد الطيبي أن نحو التصوف مناحي غير راقية يؤدي إلى ظاهرة انحباس الحضارة المولدة لقابلية الاستعمار و ينعكس بالسلب على التلاقح الفكري مع الحضارات الأخرى . محمد الطيبي ، مرجع سابق ، ص 14 . هذا وقد أورد سعد الله وصفا عن التصوف في العهد العثماني بأن قال أنه كان " ...أقرب للدروشة والدجل منه إلى الصلاح ..." . أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 20 .

[2] ابن حمادوش ، مصدر سابق ، ص 302 .

[3] نفسه . وكذا : القادري ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 2215 .

[4] المقري ، روضة الآس العاطرة الأنفاس ـ في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ـ ، تصدير : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ـ المغرب : 1983 ، ص 267 .

أنه بلغ أعلى مراتب التربية الصوفية (القطبانية).[1] وبالإضافة إلى هؤلاء فقد أخذ التصوف أيضا عن ابن مريم ـ صاحب كتاب البستان ـ وأصبح البطوئي بذلك يمثل الاتجاه الصوفي التلمساني في الريف المغربي و الذي أخذه عن شيخه ابن مريم .[2]

- محمد بن سليمان الروداني ت1683م/ 1094 هـ ـ وقد سبقت ترجمته في الفصل السابق ـ أخذ عن سعيد قدورة [3] ، المسلسل بالضيافة .[4]
- أحمد بن عيسى آدم ت 1683 م/ 1094 هـ ، وكان يروي عن شيوخ من فاس كـ: أبو البركات عبد القادر الفاسي و أبو الضياء محمد بن أحمد ميارة ، و أبو البقاء الأبار وعن العلامة : سعيد قدورة ـ ذلك أنه كان قد سافر إلى الجزائر ـ ، وأخذ عنه ثم أصبح يجيز هو الأخر بالمصافحة و المشابكة ومناولة السبحة .[5]
- أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي السوسي ت 1683 م/ 1094 هـ : تلقى الذكر ولبس الخرقة عن الشيخ قدورة وقد كان من أجل مشياخه الذين أخذ عنهم .[6]
- الشيخ : محمد بن عبد الرحمان الصيني التازي ت 1703 م/ 1115 هـ ، كان يلقب بـ : " سر الزمان وآية العرفان " ، ومن شيوخه في الجزائر: أبو عثمان سعيد قدورة ، و محمد المقري .[7]

ونجد كذلك أن بعض الشيوخ ، وإن لم يكونوا قد اشتهروا في سلسلة السند ؛ إلا أنه كانت لهم مكانة وكانوا مقصدا ، ولنا أن نذكر الشيخين أحمد بن يوسف الملياني ت1520م/ 927 هـ والشيخ محمد بن علي آبهلول المجاجي[8] كمثال ، فالملياني قال عنه الكتاني صاحب السلوة :" من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين ...انتهت إليه رياسة

[1] حسن الفكيكي ، مرجع سابق ، ص 41 .
[2] نفسه ، ص 43 .
[3] محمد الأخضر : « من أعلام المغرب العربي - محمد بن سليمان الروداني 1037- 1094هـ / 1626 - 1683 م - » ، م. د. ح. م. ، س 16/ 3 ، جانفي 1973 ، ص165 .
[4] القادري ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص2215 .
[5] نفسه ، ج 4 ، ص 1669 .
[6] محمد بن محمد مخلوف ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 316 .
[7] القادري ، نشر المثاني ، مصدر سابق ، ج 5 ، ص 1895 .
[8] محمد بن علي آبهلول المجاجي اشتهر من بين العلماء والشعراء والمتصوفة ، وكانت زاويته مجاجة ـ بولاية الشلف حاليا ـ رباطا من رباطات العلم والعمل المجاهدة ، قتل المجاجي طعنا بالخنجر لأنه رفض الإفتاء بغير حق . محمد فلاق ، مرجع سابق ، ص ص 7 - 11 .

السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره..." [1] وقد ذكر بأن الرجل كانت له شهرة واسعة بين مريدي التصوف بالمغرب.

أما المجاجي فقد نقل عبد الحي الكتاني عن ابن محلي ـ وهذا الأخير مغربي ـ قوله : " ما في وقتنا هذا من يقتدى به إلا أربعة... " [2] ، ذكرهم وعدّ محمد بن علي آبهلول منهم [3]. وهذا ما يفسر المكانة التي كان المجاجي يحظى بها بين علماء زمانه ، حيث كان كان يستقبل التلاميذ القادمين من بلدان شمال إفريقيا في زاويته ـ مجاجة ـ [4] ومن أشهر تلاميذته : سعيد قدورة.

على أن المجاجي لم يكن مهتما بالتصوف فحسب ، بل كان له اهتمام كذلك بالحديث النبوي وما يدل على ذلك هو تأليف إبراهيم اللقاني المصري لـ " تحفة ذرية علي آبهلول بأسانيد جوامع أحاديث الرسول ". [5] ومن مؤشرات علو منزلة المجاجي كذلك القصيدة التي رثاه فيها تلميذه سعيد قدورة هذه بعض من أبياتها :

مصاب جسيم كاد يصمي مقاتلي — وزرء عظيم قاطع للمفاصل
ألمت دواه أذهلت كل ذي حجى — وأي مريء من مذهل غير ذاهل
تبدد شمل الدين وانهد ركنه — لبدر فقدنا في الخلائق كامل
فقدنا إماما ما له في خصاله — نظير ولا في عصره معادل
على علم الأعلام غرة عصره — حزنت وما حزني عليه بزائل
يحق لأهل العلم أن يشهروا الأسى — لنجم هوى من أنجم الأرض آفل
توفي شهيدا في تحنثه الذي — ينال به في الخلد أفضل نائل
لمنزله كانت تشد رحالنا — فمن راكب يسعى إليه وراجل
ومن قاصد يبغي انكشاف ملمة — ومن وافد يرجو التماس نوافل
ففي طاعة الرحمان أنفق عمره — فلله من شيخ زكي الشمائل

---

[1] محمد بن جعفر الكتاني، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 13 .

[2] عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج1 ، ص 285 .

[3] هؤلاء الأربعة هم : الشيخ عبد الرحمان بن علي من لا يخاف ـ هكذا ورد اسمه ـ ، الشيخ رضوان ، الشيخ محمد البنوفري ، الشيخ محمد بن علي آبهلول .

[4] محمد فلاق ، مرجع سابق ، ص 7 .

[5] عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص ص 284 - 285 .

فما خـــاف فـــي الرحمان لومة لائـم   ولـم يختـش فـي الحـق قتلة قـاتــل [1].

و بالإضافة إلى طلب السنـد ؛ سجلت لنـا بعض المصادر التاريخيـة دخـول شخصيات صوفية ـ من أصول مغاربية ـ الجزائر خلال العهد العثماني ، فقد ذكـر De Haëdo دخول مرابط فاسي للجزائر في عام 1579م/987هـ .[2]

كما تحدث الفكون هو الآخر عن مرور دعـي صوفـي ادعى القطبانية اسمه : علي خنجل المغربي ببونة ، وهـو مـن أصول مغربية وقـد أقيمت له ليالي الطـرب الصوفـية بحضور بعض العلماء والأشراف من مدينة بونة ،وعلي المذكور لم يمكث طويلا بالمدينـة وذلك لأنه كان متجها بالأساس إلى المشرق عن طريق البحر وكانت بونة محطة له لا غير.[3]

ب ـ زيارة الأولياء و العلماء للبركة والدعاء : لم تقتصر الزيارات على العلماء لطلب السند فقط بل سجلـت بعض الزيارات للعلماء و الأولياء من أجل التبرك ، فمن ركب حجيج المغاربة كانت تنطلق زيارات للأولياء و الصلحاء الأحياء منهم والأموات من أجل الدعاء.[4]

وبما أن الجزائر كانت على طريق الركب فقد كان المغربيون يزورون من اشتهر بالصـلاح، وقد ذكر العياشي زيارته لهذه المقامات رفقة الحجيج ، ففي رحلته التي ألفها سنة : 1661 م - 1663 م /1072هـ - 1074هـ ، قـد حرص علـى زيارة الأضرحة والتبرك

---

[1] محمد فلاق ، مرجع سابق ، ص 8 .

[2] Topographie et histoire général d'Alger , traduit de l'espagnol : Monnereau et A. Berbrugger , 1870 , p 155.

[3] الفكون ، مصدر سابق ، ص166.

[4] مما كان متداولا بين الحجاج المغاربة زيارة الأولياء فقد قال : الحسين بن محمد بن ناصر الدرعي ت 1091 هـ في فهرسته متحدثا عن ركب الحجيج : " ... وما دخلنا لبلد قط إلا أحبنا صلحاؤها و أكرمونا و أطعمونا و سقونا ، وما نزلنا ببيداء معطشة إلا وجدنا فيها غديرا= = بفضـل الله وبركـة الأشيـاخ ...". نقلا عن : القادري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 1645 . ولنا أن نطالع رحلة العياشي أو الرحلة الناصرية لنرى محطات الحجاج والتي استحدثت من أجل أخذ البركة من مقامات الأولياء و الصلحاء . ولم يقتصر الأمر على الحجاج فقط فقد تحدثت بعض المصادر التاريخية عن الظاهرة كاعتقاد لدى الناس حيث يقول محمود مقديش في كتابه النزهة : " من زار [قبر الشيخ أبو يعزى بالمغرب الأقصى] ... ووضع شيئا على تابوته وطلب شيئا من الدنيا و الآخرة أعطاه الله ماسأل ..." . محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 368 .

بالمقامات [1] ، فمن الحدود الغربية للجزائر انطلقت زيارات ركب الحجيج الذي كان العياشي ضمنه ومن المناطق التي زارها ذهابا : زاوية أحمد بن موسى[2] ، قبر محمد بن الصالح بتوات [3] ، ... وغيرها ؛ وعند توقف الركب كان الحجاج يؤملـون في بركة من زاروهم ويستشفعونهم بالدعاء ؛ فقد ذكر العياشي أنهم عندما توقفوا لزيارة الشيخ محمد بن محمد بن علي[4] بأوكرت وقفوا لدى باب داره وأرسل له العياشي بيتين من الشعر وهما :

ببابك قـــوم يطلبون زيارة لكيما ينالوا دعوة منك رابحــه

أحبوك لا عن رؤية تقدمت ولكـن لأخبار أتت عنك صالحه [5]

غير أن توقفه عند قبـر خالد بن سنان [6] إيابا جعله يستحضر معاني الوقوف لدى قبور الصُلاح بنظم قصيـدة ؛ نستطيع أن نعتبرها حضورا أدبيا بطابع صوفي توسلي للعياشي في الجزائر وهذه بعض من أبياتها :

يـا نبي الإله يا بابن سنـــان خـالـدا جُـد لخائف بأمــان

مُذنب يطلب السماح ويرجو نفحة تطلق الأسيـر العانـــي

قـــد أنـــاخ بباكم مستجيـرا بجنابك من صروف الزمـــان

وقـصدتـك مـــادحــا بنظـــام مثل زهـر الربا ونظم جمـــان

فـتقبـل بفضل جـودك مني حُلة رُمـت نسجهـا بلسانـي . [7]

---

[1] العياشي ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 24 .

[2] نفسه ، ج 1 ، ص 78 .

[3] نفسه ، ص 79 .

[4] محمد بن محمد بن علي ترجم له العياشي وهو رجل عرف بالصلاح في منطقة تجورارن كان فقيها وقد أرسل بنازلتين إلى االركب أحداهما في الأحباس والثانية في البيوع .العياشي ، مصدر سابق ، ج1، ص ص 81 - 84 .

[5] نفسه ، ص 84 .

[6] ألف الأخضري قصيدة أظهر فيها نبوة خالد بن سنان العبسي وبفضل هذا التأليف أصبح الضريح مزارا للناس من كل فج . أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 251 .

[7] عن القصيدة كاملة أنظر : الملحق رقم : 8 .

و المقامات التي اشتهرت وكانت تقصد من طرف المغربيين متخذين منها محطات رئيسية في ركب الحجيج فهي : سيدي خالد ، سيدي عقبة [1] و سيدي عبد الرحمان الأخضري [2]؛ وهذه المقامات الثلاث تقع فـي منطقـة الزاب ـ ولاية بسكـرة حاليا ـ .فجاء على لسان ناصـر الدرعي : "...وأراد بعض أصحاب الأخ الشقيق ممن كـان معنـا زيارة رجـل صالح يقـال لـه سيدي محمد بن أبـي علـي فـي بسكـرة و استرفقني فكرهت مخالفته فزرناه وطلب منه الصاحب الضمان في الطريـق ".[3]

ولم يكن التبرك مقتصرا على الحجيج فقط ، فلنا أن نذكر مثالا عن التنقل بين البلدان من أجل التبرك خارج إطار الركب وهو الشيـخ أحمد النوري التونسي توفي بعد 1737 م/ 1150 هـ والذي تجول في كل: من تونس، الجزائر، تلمسان ، وفاس ليلقـى الرجال وليتبرك بالصلحاء كما فعل عند قبر الشيخ أبي يعزى بالمغرب الأقصى . [4]

وهناك زيارات أخرى كانت للأولياء المدفونين بالجزائر, ومن هذه الأضرحة التي كانت مقصدا من طرف المغاربة للزيارة:

ـ **ضريح أبو مدين شعيب :** كان لهذا الضريح مكانة خاصة في نفوس المغربيين، ونجد أن الكثير منهم قد حطوا الرحال بالعباد ومن بين أشهر الشخصيات المغربية الزائرة لأبي مدين نجد : أحمد بن أحمد الدلائي ت 1680 م/ 1091هـ وقد ترك الدلائي كما أشرنا سابقا قصيدة يحكي فيها عن شوقه لبلاده ـ دلاء ـ ومما جاء في القصيدة تعبيرا عن تعلقه بتلمسان وقطبها أبي مدين رغم حنينه لموطنه قوله :

على أنني لو سرت عنها لأصبحت نوازع أشواقي لها دائما تســر

ولم لا ولي فيها إمام معظــم أبو مدين قطب المشايخ والعصر

إمام له في حضرة القدس مقعد ينزه هناك عن زيد وعن عمرو[5]

[1] ذكر العياشي بأن الحجاج كانوا يزورون ضريح سيدي عقبة وغالب من زار القبر من الحجاج يكتب اسمه على أساطين مسجد سيدي عقبة وحيطانه . العياشي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 539 .

[2] العياشي ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 542 .

[3] نقلا عن : القادري ، مصدر سابق ، ج 4 ، ص 1645

[4] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 368 .

[5] أنظر ملحق رقم : 5 .

وهناك شخصية أخرى هي : الزياني حيث أكد في كتابه الترجمانة بأنه توقف في العباد ليعتكف بحضرة القطب أبي مدين ؛ حيث قال : " ... ونزلت بجوار أبي مدين بالعباد ، واخترت العزلة عن العباد ..." [1].

ـ **ضريح عبد الرحمان الأزهري (بوقبرين)** : كان ضريح الأزهري من القبور المشهورة بالزيارة فقد ذكر عبد المنعم القاسمي أن المصادر الغربية التي أرخت للأزهري بأن زوار الضريح كانوا من مناطق كثيرة وبأن المغاربة وفدوا على القبر بأعداد كبيرة [2].
وهناك من المغاربة من اختار زيارة من اشتهر بالصلاح والولاية حيث نجد أن التمجروتي كان قد زار قبر الولي الصالح أبو عبد الله الملك مروان القطان المدفون ببونة [3] ، أما عبد الرحمان الجامعي فقد اختار زيارة كل من اشتهر بالصلاح بمدينة الجزائر حيث ذكرهم في رحلته بقوله : " وأولياؤها المشهورون بها المتبرك بزيارتهم وأنا أتبرك بعدتهم إن شاء الله ..." ثم ذكر الأولياء والصالحين ممن قبر بجزائر بني مزغنة [4].

وبذلك تكون الزيارة مظهرا للتواصل الصوفي وللحضور المغاربي في الجزائر، وما تجدر الإشارة إليه أن بعض المغاربة قد استقروا بالجزائر فأصبحوا هم مزارا من طرف الناس ومن أشهر الأولياء المغاربة المدفونين بالجزائر: الولي الصالح سيدي علي الفاسي ، وكان من أهل القرن 15 م/9 هـ ، قبره من أشهر قبور الأولياء بمدينة الجزائر .[5]

وبمدينة الجزائر كذلك اشتهر ولي آخر وهو سيدي علي الجربي توفي خلال القرن 16 م/ 10 هـ [6] ويرجح بأن يكون الجامع الذي بني حول الضريح قد شيد بعد نزول الأتراك .[1]

[1].

---

[1] مصدر سابق ، ص 144 .
[2] عبد المنعم القاسمي ، " الزاوية الرحمانية وأثرها في الوحدة المغاربية "، مجلة الدراسات الإسلامية ،(الجزائر)، ع 9 /جوان 2006 ، ص 151 .
[3] التمجروتي ، مصدر سابق ، ص 25 .
[4] نقلا عن : أبو القاسم الحلفاوي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 412 ـ 413 .
[5] أبو القاسم محمد الحفناوي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 413 .
[6] نور الدين عبد القادر ، مرجع سابق ، ص 236 .

إذن كانت هذه بعض النماذج من المتصوفة الذين زاروا الجزائر ، وسنذكر نماذجا من مساهمات المغاربة في خدمة الطرق الصوفية ـ الوافدة منها والأصلية ـ خلال العهد العثماني .

2 ـ مساهمات المغاربة في خدمة الطرق الصوفية بالجزائر :

أ ـ الطرق الوافدة : فـي محاولـة لمـد السلطـة الروحية كان أصحاب الطرق الصوفية الوافدة على الجزائر يرسلـون مقدمين لهم للمنطقة ، وكثيرا ما كـان هؤلاء المقدمون من أصول مغـاربية سـواء كانت جزائرية [2] أو غيـر جزائرية ؛ وسنتطـرق خـلال هـذه النقطـة لمساهمات المغاربة فـي خدمة الطرق الوافـدة على الجزائـر وهـذه الطرق في جلهـا فـروع عـن الطريقـة الشاذلية الأم و يتعلـق الأمـر بكـل مـن : الزروقية ، الشابية ، الناصـرية .

ـ الطريقة الزروقية : مـع نهايـة القرن 15 م/ 9هـ ظهرت شخصية صوفية من أصول مغربية في الجزائر وهو الشيـخ أحمد زروق [3] ـ كأحد أقطاب الطريقة الشاذلية ـ ، وقـد

---

[1] نفسه ، ص236 . وقد استبدل اسم الجامع الذي دفن به من جامع سيدي الجربي إلى جامع ابن فارس ذلك أن الحاج علي بن الفارس ابتاع دارا خلال النصف الثاني من القرن 17م / 11هـ فتناسى الناس اسم جامع سيدي الجربي وبذلك سمي النهج بزنقة ابن فارس .

[2] نذكر من بين الشخصيات الجزائرية المقدمة لطرق وافدة : العربي بن عطية الشلفي من رجال القرن 13 هـ / 19 م من دعاة الطريقة الدرقاوية .عنه أنظر :عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 189 .ومن بينها أيضا : معمّر ـ كذا ـ مقدم للحنصالية أصله من التلاغمة ـ الشرق الجزائري ـ عنه أنظر: Rinn, op.Cite , p 391 ، وكذا : الخير الدين الكوش من أهل توات كان مقدما للوزانية بتونس . القادري ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 2260 . كما نذكر كذلك الحاج الداودي التلمساني ت 1271 هـ وإن لم يكن مقدما إلا أنه كان من مريدي الناصرية ؛ قال عنه الحفناوي : "وكان له اذن في الطريقة الناصرية ". الحفناوي , مصدر سابق ، ج2 ، ص107 .

[3] زروق : هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق عالم صوفي مشهور ولد سنة 846هـ اشتغل بالتصوف والتوحيد ، أخذ عنه جماعة من الأئمة منهم : الشيخ الشمس اللقاني ، الشيخ محمد بن عبد الرحمان الحطاب ، الشيخ زين الدين طاهر القسنطيني . توفي بتكرين ـ قرية من قرى مسراتة بطرابلس ـ . وقد ترك مؤلفات في التصوف بالإضافة لتعليقات و شروح .ابن مريم ، مصدر سابق ، ص ص 45 ـ 50 . كما ترك الشيخ كناشة وهـي بمثابـة ترجمة ذاتية ذكر فيها نشأتـه وسلوكـه طريق التصوف وسياحته في شمال افريقيا و مصر والحجاز . والكناشة مخطوطة بالخزانة العامة بالمغـرب تحت رقم : 1385 ضمن مجموع محمد المنوني ، مرجع سابق ، ص ص 120 ـ 121.أنظر ترجمته كذلك : ابن عسكر ، مصدر سابق ،ص ص 48 ـ 51.

نشط زروق في بجاية حيث كان ينشر تعاليم الشاذلية بها [1] فأخذ عنه الشيخ: أحمد بن يوسف الملياني الراشدي [2] على أن هناك من أكد أنه أسس طريقة بالمنطقة.[3]

ويبدو من خلال النشاط الصوفي للشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي بالجزائر، أنه كان من المهتمين بطريقة شيخه أحمد زروق ، فقد قام بنشرهذه الطريقة رفقة الشيخ عبد الرحمان الأخضري [4] ؛ ومساهماته تجلت من خلال تركه لبعض المصنفات : كتأليفه لكتاب عن أصول طريقة زروق [5] بالإضافة إلى الرسالة التي نسبت إليه وهي : " الدرة الشريقة في الكلام على أصول الطريقة " [6] ؛ وقام بالإضافة إلى ما سبق بشرح وظيفة صوفية تركها الشيخ يحيى العيدالي .[7]

وإذا ما سجل نشاط الخروبي خدمة للزروقية فإن هناك من يذكر أن الشيخ قد ترك طريقة صوفية بالجزائر[8] ، ـ و يبدو أنها لاقت رواجا فيما بعد ـ حيث أصبح يناول السبحة ويلبس الخرقة و يضيف على التمر والماء ؛ ويعطي الورد ويلزم قراءته مما جعله مقصدا للمريدين ؛ ومن الذين أخذوا عنه في الجزائر: الشيخ علي بن حامد القادم من تونس .[9]

ـ **الطريقة الشابية:** كان للطريقة الشابية في الجزائر مقدمون ومناصرون ، وحضور الشابية كان منذ بداية القرن 16 م/ 10هـ ، وكان متمركزا في الشرق الجزائري ، ويبدو أن أول اتصال للشابية بالجزائر كان في خضم الحروب التي نشبت بينها وبين السلطة

.[1] Depont ,op. Cite , p 457

[2] Ibid. p 461 .

[3] محند آكلي آيت سوكي ، مرجع سابق ، ص ص 64 ، 69 . هذا وقد أكد Depont أن أتباع زروق هم الذين أسسوا جمعية عرفت بالزروقية Ibid., p 458

[4] محند آكلي آيت سوكي ، مرجع سابق ، ص ص 64 - 65 .

[5] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 134 وكذا : ابن حمادوش ، مصدر سابق ، إ. مح. ، ص 130 .

[6] أبو القاسم سعد الله ، مرجع سابق ،ج 2، ص 133 .

[7] محند آكلي آيت سوكي ، مرجع سابق ، ص 167 . وظيفة العيدالي : تعتبر هذه الوظيفة من بين أهم الوظائف التي انتشرت في الناحية الشرقية لمنطقة القبائل . فحتى وإن كانت في القرن التاسع الهجري(15 م). إلا أن ترديدها في حلقات الذكر ، وقراءتها من قبل المصلين ، بقيت إلى الآن وهي عبارة عن أذكار وابتهالات وأدعية مستمدة من القرآن الكريم ، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ... نفسه ، ص 166 .

[8] ابن عسكر ، مصدر سابق ، ص 40 .

[9] محمود مقديش ، مصدر سابق ، ج 2 ، ص ص 436- 437 ؛ نفسه ، إ . مح. ، ص437.

السياسيـة الحاكمة فـي تونس[1] ؛ حيث كـان الشابيـون يبحثون لهم عن قواعد خلفيـة [2] ، بالإضـافة إلى تحالفـات مـع القبائل القاطـنـة بالشرق الجزائري ولعل أشهر هذه القبائل المتحالفة قبيلة طرود [3] وفي بعض الأحيان دخلت في صراعات مع سلطات محلية بالشرق مثلما حدث مع مؤسس الخنقة الشيخ المبارك بن ناجي الأصغر خلال القرن 17 م/ 11 هـ [4] .

على أن حضور المغاربة فـي الشابية بالجزائر تجلى من خلال نشاط المقدمين والذين كانوا تونسيين فمـن المقدميـن بمنطقة الأوراس : عيسى الشابـي وقـد كـان محبوبا من طرف الناس ، ثم جاء بعده : عبد الصمد الشابي [5] وقد تزعم هذا الرجل قبائل اللمامشة ، الهمامة أولاد زايد ، بعد نجاحه بالسيطرة على منطقة الأوراس قام بفلاحة سـهول باغاي لحسابه ـ ربما ضمانا لدعـم مادي ـ ، ثم خلفه ابن عمه حميدة وقـد قـام سكـان الأوراس بثورة عليه فما كان منـه إلا الفرار إلى تونس .[6]

---

[1] محمد الساسي إبراهيم العوامـر: الصروف فــي تاريخ الصحــراء وسوف ، تعليق : الجيلانـي بن إبراهيم العوامر ، ط 2 ، منشورات ثالة ، الأبيار ـ الجزائر ، 2009 ، ص 227 .

[2] ففي حروب الشابي مع صاحب تونس نزل في إحدى المرات في منطقة عين شبرو ـ بين تبسة و قسنطينة . أنظر : العُدواني ، محمد بن محمد بن عمر: تاريخ العدواني ، تح. :أبو القاسم سعد الله ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 2005 ، ص 173

[3] حاربت طرود إلـى جانب الشابي ـ عرفة بن أحمد بن مخلوف ـ مقابـل منح مرتبات لرؤسائهم ، لكن التحالف لم يدم طويلا ، ففي أعقاب المعركة التي دارت بين الشابي وصاحب تونس ـ السلطان الحسن بن أبي عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود ـ سنة 942هـ / 1536 م ، لـم ترض طـرود بقسمـة هـذه الحـرب ، فـفسخـت التحالف . أنظر : العوامر، مرجع سابق ، ص ص 228 - 229 . ويبدو أن طرود التي حاربت مع الشابية في البداية هي التي ستسرع من انهاء النشاط السياسي للطريقة ؛ فقد قام حاكم تونس يوسف داي و خليفته من بعده حمودة باشا باستمالة قبائل طرود و دريد إليهما ، وبذلك ضربت الشابية فتشتت أمرهم بخيانة حلفائهم وكان ذلك في سنة 1041 هـ / 1632 م على عهـد : حمـودة باشا و عبد الصمد الشابـي . نفسه ، ص ص 236 - 237 .

[4] الجمعية الناصرية ، مرجع سابق ، ص ص 86 - 87 ، 102 .

[5] عبد الصمد الشابي : ابن محمد بن عبد الطيف بن أبي الكرم بن محمد بن أحمد بن مخلوف الشابي ، وهو الذي نكبت الشابية على عهده . العوامر ،الصروف ، مرجع سابق ، إ . مح. ص 236 . وقد كان عبد الصمد قد دخل في صراع مع بعض القبائل بالشرق الجزائري في إطار فرض سلطته عليها ومحاولة اخضاعها وخاصة مع شيوخ خنقة سيدي ناجي . أنظر: الجمعية الناصرية ، مرجع سابق ، ص ص 55 ، 61 ، 102 .

[6] العدواني ، مصدر سابق ، ص 136 .

أما بمنطقة صحراء سوف فقد كان المسعود الشابي وابنه علي ـ كان لهذا الأخير نشاط ببلد العناب حيث تمكن من كسب العامة إلى صفه [1] ـ ، من أشهر المقدمين[2] خلال القرن17 م / 11 هـ ، ولعل أبرز نشاط قام به مسعود الشابي رفقة ابنه هو تلقين بعض الأحكام المتعلقة بالدين الإسلامي لقبائل قاطنة بالمنطقة ، حيث أن بعض القبائل كانت تجهلها .[3]

وقد تجول مسعود الشابي بالمنطقة ومر بقرى كثيرة [4] ، وخلال تنقلاته تلك رافقته نوبة حسبما ذكره العدواني في تاريخه.[5] كما أنه كان يأمر ابنه كذلك بالقيام بدعوة بعض قبائل للتمسك بتعاليم الإسلام .[6] ، واستمر المسعود الشابي في نشاطه إلى أن توفي حوالي حوالي : 1619 م/ 1028 هـ ودفن في زاويته الكائنة بشاشار قرب بلدة خنشلة .[7]

ـ الطريقة الناصرية : استعملت الناصرية [8] هي الأخرى مقدمين لها لمد سلطانها الروحي على التراب الجزائري و قد كان لركب الحجاج المغاربيين دور مهم ـ كما أشرنا ـ في تعزيز التواصل المغاربي ؛ ففي إطار الركب كان أحمد بن ناصر الدرعي يبث الطريقة الناصرية في الأماكن التي بتوقف بها . ومن بين المناطق التي كان له فيها حضور ناشرا

---

[1] الفكون ، مصدر سابق ، ص ص 168 - 169 .

[2] يبدو أن منطقة الشرق الجزائري كان من أولويات الشابية ذلك أنه إذا ما لاحظنا مثلا أصول المقدمين نجد أنهم ينتمون للنسل المؤسس للطريقة .

[3] العوامر، مرجع سابق ، ص 242 .

[4] المحطات التي نزل فيها المسعود الشابي : اللجة ، الوادي ، قرية غنام ، تاغزوت ... عن جولات المسعود الشابي في المنطقة أنظر : العدواني ، مصدر سابق ، ص ص 111- 113 و ص ص 123 - 127 .وكذا : العوامر، مرجع سابق ، ص ص 242 - 244 .

[5] تحدث العدواني عن شخصية تدعى :عياط اللجي العدواني وقال بأن الرجل سمي عياط لأنه : " يعيط على نوبة شيخه سيدي المسعود الشابي ". العدواني، مصدر سابق ، ص ص 144 - 145 .

[6] نفسه ، ص ص 129 - 130 .

[7] العوامر، مرجع سابق ، إ . مح. ، ص 242. أنظركذلك : Depont , op. Cite, p482

[8] تأسست الزاوية الناصرية بتامكروت بالمغرب الأقصى سنة 1575 م على يد عمر بن أحمد الأنصاري لكنها لم تبرز كزاوية لها طريقة صوفية خاصة بها إلا في عهد محمد بن ناصرت 1674 م ، تميزت الناصرية بالتصاقها الشديد بتعاليم الشريعة حيث نبذ الناصريون الكثير من الممارسات الصوفية السائدة كالسماع والرقص في حلقات الذكر و تقديم الذبائح لأضرحة الأولياء وأي ممارسة لا تمت صلة للقرآن والسنة . محمد المنصور، مرجع سابق ، ص ص 266 - 267 .

لطريقته هي خنقة سيدي ناجي [1] ؛ وقد أخذ عنه بها بعض الأعلام الأجلاء من أشهرهم الشيخ : عبد الحفيظ بن محمد الطيب خلال القرن 18 م / 12 هـ .[2]

وفي نفس الإطار تم تعيين مقدم آخر وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان بن بوزيان [3] ، ، الذي كان له الفضل في نشر الطريقة ، بل و في تأسيس فرع عن الناصرية سمي بالزيانية ؛ وقد أسسها بمنطقة الجنوب الغربي الجزائري أثناء رجوعه من الحج حيث اتخذ من القنادسة [4] مقرا لها وقد كان لطريقته هذه تلامذة وأتباع كثيرون .[5]

وهناك أيضا طرق أخرى كان لها حضور في الجزائر من خلال نشاط مقدميها ، كما هو الحال بالنسبة لشرفاء وزان بطريقتهم الطيبية ؛ فقد كان" الفقراء الذين بين الجزائر وتازة [كما يذكر القادري] يراسلون مولاي الطيب بن محمد أن يرسل إليهم من يتبركون به من الشرفاء و يأذن له في تلقينهم الأوراد والأحزاب والجلالة ".[6] وتم الأمر بأن أرسل إليهم إليهم ولد من أولاد أخ الشيخ الطيب الوزاني .[7]

كما كان لبعض الشخصيات الصوفية المغاربية حضور من نوع آخر وهو تزعم أو دعم ثورات اتخذت في كثير من الأحيان طابعا سياسيا بمباركة حكومية ؛ لتوجيه ضربات قاسية للسلطة العثمانية بالجزائر ولعل أهم هذه الشخصيات هو الشيخ العربي الدرقاوي حيث كان يرسل مقدمين إلى الغرب الجزائري لينشروا الطريقة الدرقاوية [8] بالمنطقة .

---

[1] الجمعية الناصرية، مرجع سابق ، ص 101 . الشيخ المبارك بن ناجي الخنقي ت 1031 هـ / 1622 م مؤسس خنقة سيدي ناجي الذي هاجر إلى درعة لتلقي الطريقة وأصبح أحد شيوخها الكبار .نفسه ، ص 102 .

[2] الشيخ عبد الحفيظ بن محمد الطيب :ولي صالح صوفي ولد في خنقة سيدي ناجي ، ونشأ بها وتعلم أخذ الطريقة الناصرية على أحمد بن ناصر الدرعي .أخذ عنه كل من الشيخ بركات والشيخ أحمد التليلي التصوف . الجمعية الناصرية ، نفسه ، ص 101 .

[3] يعد أبو زيان من أسانيد الطريقة الشاذلية بفرعها الناصري الدرعي ، أخذ عن الشيخ مبارك ابن عزي عن الشيخ أبي عبد الله بن ناصر الدرعي بسنده . وممن أخذ عنه سلك الطريقة : أبو عبد الله محمد المنور التلمساني . عبد الحي الكتاني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 121 .

[4] Rinn Louis, op. Cite , pp 279,409 .

[5] القادري ، مصدر سابق ، ج 6 ، ص 2261 .

[6] نفسه ، ج 6 ، ص 2290 .

[7] نفسه .

[8] تأسست هذه الطريقة على يد الشيخ المولى العربي الدرقاوي (1737 - 1823)مع نهاية القرن 18 م م ، وتقوم مبادىء هذه الطريقة على كبح جماح الشهوات وإذلال النفس وكسرها عن طريق التقشف في الملبس والمأكل والزهد في أغراض الدنيا ، وقد كان شيخ الطريقة يحث أتباعه على خرق العادة بلبس

ومن بين المقدمين الذين اختيروا ليقوموا بهذه المهمة عبد القادر بن الشريف الدرقاوي [1] والذي قاد حربا ضد الأتراك بالغرب الجزائري بالموازاة مع ثورة ابن الأحرش في الشرق الجزائري . وقد استغل ابن الشريف فرصة فرض العثمانيين للمغارم و الضرائب على القبائل الوهرانية من جهة ؛ وضعف القبائل المخزنية من جهة أخرى بسبب مشاركتها في إطفاء الثورات آنذاك [2] للقيام بالثورة .

ويبدو أن هذه الثورة كانت عسيرة على السلطة العثمانية حيث نجد أنها لجأت للسلطة العلوية من أجل التدخل والتوسط لدى مولاي العربي الدرقاوي من أجل حث أتباعه على التراجع عن هذه الثورة لكن المولى سليمان راسل زعيم الطريقة الدرقاوية من أجل الترويج لسلطة الشرفاء في الغرب الجزائري**!**[3]

ب ـ الطرق الأصلية : شهدت الجزائر خلال العهد العثماني ، بروز طرق صوفية جزائرية التأسيس وكما ساهم المغاربة في الطرق الصوفية الوافدة فقد كانت لهم كذلك مساهمات في هذه الطرق سنحاول التعرف على بعضها من خلال نموذج الطريقتين : التيجانية و الرحمانية .

ـ الطريقة التيجانية : إذا غلب التقديم للطريقة على مساهمات المغاربة في الطرق الصوفية االمذكورة ففي التيجانية تجلى حضورهم الصوفي من خلال النظم والتأليف نصرة للطريقة ؛ حيث كانت لهم منظومات موزونة في مدح الطريقة وشيخها ؛ وفي كثير من الأحيان لم

المرقعة والمشي بالحفا ومد اليد للسؤال في الأسواق ، وكل ذلك بهدف كسر النفس وتحصينها من = =الإغراءات المادية التي تشغل المريد عن طريق الحقيقة الإلهية. محمد المنصور ، مرجع سابق ، ص 280 .

[1] Adrien Delpech , " Résumé historique sur le soulèvement des Derk'aoua de la province d'oran " in **R.A**. N°18, p 40 .

[2] حنيفي هلايلي ، مرجع سابق ، ص 32 .

[3] أكد الطرف المغربي عكس هذه الرواية حيث قال المؤرخ المغربي محمد المنصور أن المولى سليمان لم تكن له نية في تقبل بيعة أهل الغرب الجزائري لأنه كان متخوفا من دخول المنطقة تحت سلطانه فقد تظاهر بقبوله البيعة ولكنه في حقيقة الأمر كان رافضا للفكرة من أساسها حيث أرسل قائد جيش الأوداية إلى تلمسان من أجل التوسط بين أتباع ابن الشريف و الباي أنظر: محمد المنصور، مرجع سابق ، ص ص 284 - 287 .وعن موقف الطرف الجزائري من علاقة السلطة العلوية بالثورة الدرقاوية بالغرب الجزائري أنظر : رشيدة شدري معمر، مرجع سابق ، ص 192 .

تكتب في الجزائر [1] ، إلا أنها كانت حاضرة في بين أهل الطريقة في الجزائر وخارجها ومن هؤلاء المساهمين الناظمين نذكر :

- أحمد لبيب بن بابا الشنقيطي العلوي ت 1853 م/ 1270 هـ الذي ألف منظومة في شيخه أحمد التيجاني وطريقته سماها : منية المريد وهي شهيرة بين مريدي التيجانية .[2] وهذه بعض من أبياتها والتي تتحدث فيها عن مكانة الشيخ التيجاني :

ومن يجالس مبغض الشيخ هلك وضل في مهامه وفي حلك

وشدد لنـــا النهـــي الرسول ذاك فـلتعمــل بـما أقـــول [3]

ومن أبياتها أيضا والتي تبرز علو الطريقة في نفس الناظم :

لو علمت أكابر الأقطاب ما أعـد خالـق الورى تكرمــا

لهـــؤلاء بكـوا عليـــه وانتقصـوا ما ركنوا إليــه [4]

- أحمد بن الطيب السفياني ت 1829 م/1286 هـ كانت له أنظام موزونة و ملحونة في مدح شيخه وطريقته . [5] كما ألف كذلك كتابا في الطريقة تحت عنوان : الإفادة الأحمدية .[6]

على أنه قد سجل كذلك حضور آخر تجلى في صحبة الشيخ أحمد التيجاني حيث صحبه الشيخ : محمود التونسي ت 1814 م/ 1230 هـ ؛ والذي كان يشار إليه بالصلاح .[1] وقد تجلت خدمته لهذه الصحبة في كفالة إبني الشيخ وذلك بطلب من التيجاني نفسه .[2]

---

[1] من بين المؤلفات التي ألفها المغاربة نصرة للتيجانية وشيخها :كتاب علي حرازم الفاسي: جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني ، كتاب : كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب لأحمد سكيرج وغيرها . تقي الدين الهلالي ، الهدية الهادية للطائفة التيجانية ، ط 2 ، (د.ن.) ، (د. م.) ، 1977 ، ص ص22 ـ 23 . كما ألف السكيرج كذلك : الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية وهي مخطوطة بخزانة المذهب المالكي على الإنترنيت .

[2] ابن سودة ، إتحاف المُطالـع بـوفيات أعـلام القـرن الثالـث عشـر والرابع ،تح. : محمد حجي ؛ ضمن : موسوعة أعلام المغـرب ، ط 1 ، دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 1996 ، ج7 ، ص 2599

[3] تقي الدين الهلالي ، مرجع سابق ، ص 16 .

[4] نفسه ، ص 36 .

[5] ابن سودة ، مصدر سابق ، ج7 ، ص 2640 .

[6] تقي الدين الهلالي ، مرجع سابق ، ص 23 .

ـ الطريقة الرحمانية : وإذا ما أردنا التحدث عن نشاط المغاربة خدمة للطريقة الرحمانية ، وجب التحدث عن مساهمات شخصية الشيخ علي بن عيسى المغربي ؛ هذا الرجل الذي الذي كان الخليفة الأول للشيخ بوقبرين [3] ، وقد دامت مدة خلافته للطريقة أكثر من ثلاثين سنة (1793 - 1836 م/ 1208- 1252 هـ).

على أن خلافته للزاوية لم تأت بمحض الصدفة ؛ بل نستطيع أن نقول أنها جاءت بعد دراسة من الشيخ عبد الرحمان ؛ ونستشف ذلك من خلال وصية الشيخ حيث أوصى له بالإضافة إلى خلافة الزاوية ؛ بممتلكاته الخاصة ، من أراضي وكتب ...[4] .

وربما ترجع هذه الثقة التي أولاها الشيخ عبد الرحمان الأزهري للشيخ علي بن عيسى إلى شخصية الرجل الكاريزماتية ـ إن صح القول ـ . فعندما بحث الشيخ في عائلته ، وبين مواطنيه عن رجل يكون كفؤا لمواصلة ما بدأ به [5] ، لم يجد إلا علي بن عيسى ؛ وخير دليل على الشخصية التي تمتع بها الرجل ، ما أورده حمدان بن عثمان خوجة ـ وقد كان معاصرا له حيث قال : "... ولقد اجتمعت ... بهذا المرابط [أي علي بن عيسى]ووجدت فيه رجلا بسيطا...ذو بصيرة ...لا يملك ثروة طائلة ، ذلك أنه بعد أن يوزع الصدقات، لا يبقى له أكثر مما يقتات به . أمام بيته يوجد عدد كبير من الأجفان لإطعام

---

[1] ابن سودة ، مصدر سابق ، ج7 ، ص 2494 .

[2] Louis Rinn , op. Cite ,P 422 .

[3] خلفاء الطريقة الرحمانية : الخليفة المؤسس : عبد الرحمان الأزهري ، ثم علي بن عيسى إلى غاية : 1836 م ، ثم : سي بلقاسم بن محمد من المعاتقة دامت فترة خلافته سنة واحدة ، ثم : سي الحاج البشير وهو من المغرب(1836 - 1841م) [ذكرRinn : أن سكان القبائل رفضوا الدخول في طاعة الحاج البشير فما كان منه إلا أن غادر والتجأ إلى صديقه الأمير عبد القادر وقد حكم من سنة : 1836 إلى 1837 . Rinn ., O.P.Cite ..P 457]، ثم : محمد بن بلقاسم نايت عنان لمدة سنة واحدة ، ثم : الحاج عمار 1844 م ـ كان له دور في مقاومة زواوة سنة 1857 وفي عهده هدمت الزاوية من طرف الجنرال الفرنسي : ديفو ، ثم : محمد الجعدي والذي لم تطل مدة ولايته لأن الأعيان انتخبوا : الحاج محمد أمزيان الحداد وهو الذي قاد ثورة 1871 م . عبد المنعم القاسمي الحسني ، مرجع سابق ، ص 143 .

[4] Louis Rinn, O.p.Cite ,P 455 ./ Adrien Delpech , " Un diplôme de mok'eddem de la confrérie religieuse Rahmania " in **R.A**. Nº18, p 420 . وكذا : عبد المنعم القاسمي الحسني ، مرجع سابق ، ص 143 .

[5] Louis Rinn, O.p.Cite ,P 455.

ضيوفه ، وكذلك أكياس من الشعير والتبن للحيوانات التي ترافقهم ...".[1] وبذلك استحق خلافة الشيخ عبد الرحمان .

وما يلاحظ على مدة خلافة المغربي للطريقة الرحمانية هو الاتساع الجغرافي الذي شهدته الطريقة على عهده [2]، كما أنه استطاع خلال هذه الفترة أن يجعل لنفسه مكانة ضمن الشخصيات المؤثرة بفضل إنسانيته في التعامل مع الناس ، ولشدة تأثيره في العامة واعتقادهم فيه تمتع بأكبر ثقة و كاد أن يؤله من طرف سكان منطقة القبائل[3] ، وهذا ما يفسر المكانة التي حظي بها الرجل ؛ وكان نشاط الرجل قبل توليه الخلافة إشرافه على زاوية الكاف الرحمانية بتونس [4] .

وبالإضافة إلى الشيخ علي بن عيسى فقد وجدت شخصيات مغاربية أخرى كان لها نشاط في الرحمانية [5] ونذكر مثلا شخصية : سي مصطفى الطرابلسي ت 1776 م/ 1190هـ ، وقد كان هذا الرجل من الأتباع الأسايين للشيخ عبد الرحمان ؛ كان قد بعثه إلى تونس من أجل نشر الطريقة بالمنطقة لكن المنية عاجلته ولم يصل إلى تونس .

كانت هذه إذن بعض المساهمات من المغاربة في خدمة الطرق الصوفية ، وقد لاحظنا كيف أن المغاربة لم يتعصبوا للطرق بحسب الانتماء الجغرافي ؛ فالجزائري ليس بالضرورة مناصرا لطريقة منبتها الجزائر، ولا التونسي أو المغربي أو الطرابلسي كذلك ، بل إن الأمر تم على حسب قناعة كل فرد وهذا ما يؤكد تواصل المغاربة في مجال التصوف .

---

[1] حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق ، ص 59 .

[2] Louis Rinn, O.p.Cite , P 457

[3] حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق ، ص 58 .

[4] أبو القاسم الحفناوي، مصدر سابق ، ج 2 ، ص 467 وكذا : محمد بن محمد مخلوف ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 372 ؛ عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص 166 .

[5] من الشخصيات التي كان لها نشاط خدمة للطريقة الرحمانية الخليفة الثالث للشيخ الأزهري وهو الحاج البشير المغربي أصله من السوس بالمغرب الأقصى وقد كان هذا الرجل قد شغل وظيفة وكيل بالزاوية واختير ليخلف الشيخ محمد بن أبي القاسم في سنة 1255 هـ / 1839 م . أنظر: Adrien Delpech , O.p.Cite , p 421.

والدلائل على أهمية التصوف في التأسيس الوحدوي كثيرة أشرنا إلى بعضها فالإحساس بالانتماء للمنظومة الصوفية ـ والتي قد تكون في كثير من الحالات وافدة ـ والتفاني في خدمتها ، يبرز مدى الانتماء الروحي والعقدي للمغاربة ضمن إطار المغرب الكبير كوحدة شعبية بعيدا عن أي عامل يمكن أن يهدد هذه الوحدة .

ونماذج الحضور الصوفي للمغاربة في الجزائر ـ التي ذكرت ـ إن دلت على شيء فإنها تدل على " ... قيمة التصوف كمعطى ثابت من ثوابت الوحدة المغاربية [وقد تجلت في عدة مساهمات ولعل أبسطها]... تبادل الزيارات بين المتصوفة " .[1] على أن كل ذلك لم يكن حكرا على فترة زمنية بعينها ، بل هو في كل وقت تنشط فيه الحركة الصوفية بشمال إفريقيا [2] .

[1] إبراهيم رزوق ، دراسات في تاريخ المغرب ، ط1 ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ـ المغرب ، 1991، ص 73 .

[2] أورد Rinn بعض النماذج عن نشاط مقدمين مغاربة خلال فترة الاحتلال ومنها : الحاج مبارك بن يوسف وهو مغربي اشتغل كإسكافي بمدينة الجزائر سنة 1831 م ، ثم غادرها لتكون له جولات في كل من : تونس ، بونة ، قالمة ، و قسنطينة . Louis Rinn , op.Cite ,P P 118 – 119

الخـــاتمــــــــــــة

ما نخلص إليه في الأخير؛ هو أن منطقة شمال إفريقيا قد تشكلت معالمها بفضل مظاهر وحدة اجتماعية وثقافية تجلت في عدة مجالات: تنقل الأفراد بين البلدان، الرحلات العلمية والصوفية، المرسلات... وفي أوقات مختلفة ، حتى وإن كان الوضع السياسي في حالات متدهورة ؛ فقد لاحظنا التوتر الحاصل على المستوى السياسي وما قابله من تواصل في بعديـن : اجتماعي و ثقافي .

وتنقُل الأفراد بين بلدان شمال إفريقيا كبعد اجتماعي حضاري أكدته وجود جاليات مغاربية في الجزائر، وجاليات جزائرية في البلدان الأخرى ، نسجت علاقات اجتماعية من

خلال المصاهرات والمعاملات اليومية ؛ وما النماذج المقدمة من الوثائق الأرشيفية إلا توضيح لهذا التمازج الاجتماعي .

كما ترجم لنا ركب حجيج المغاربة صورا لتواصل جماعي و تمازج أخوي ـ وإن كان مؤقتا ـ غير أنه سجل الأرقى : من معاملات ثقافية واجتماعية و اقتصادية فقد أدى الركب دورا في تفعيل التجارة البينية لشمال إفريقيا حيث كانت عمليات البيع والشراء تتم على طول الطريق وبذلك كان يسهم في الجانب الاقتصادي ؛ ففي سنة 1737 م/ 1150هـ ارتفع سعر القمح بفاس إلى ستة أواقي للصاع النبوي الواحد وعندما دخل الركب النبوي إلى المدينة أتى معه بالقمح من طرابلس فانحط السعر إلى نحو سبع موزونات للصاع النبوي .

ولا شك أن دور العلماء المغاربة كان كبيرا في تعزيز التواصل المغاربي من خلال نشر العلم والثقافة ـ بغض النظر عن المستوى الثقافي المسجل آنذاك ـ ، فقد سُجل تنقل طلبة العلم المغاربة إلى الجزائر ورأينا كيف كانوا يتنقلون بين المراكز العلمية لأخذ الإجازات من شخصيات علمية جزائرية عدت من رموز العلم بالمغرب الكبير، كما أن المهمة السياسية التي كلف بها بعض العلماء كانت فرصة للقاء بين العلماء المغاربة .

أما عن دور التصوف في تعزيز الوحدة المغاربية بالجزائر فإنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نفصل الظاهرة عن طابعها المغاربي ففي العهد العثماني تجسد هذا الطابع من خلال عدة أمور أشرنا إلى بعضها في الفصل الثالث ؛ حيث كان السعي لمعرفة سبل الوصول للطريق العرفاني ميزة طبعت بعض رحلات المتصوفة المغاربة للجزائر كل حسب طريقته ومنهجه ، مشكلا بذلك مظهرا للوحدة المغاربية .

ونجد أن عديد المتصوفة المغاربة تركوا بصمة لهم بالجزائر، وإن لم يدخلوها على غرار الشيخ عبد الرحمان المجذوب الذي تجول في مناطق بالمغرب الأقصى (مكناس ، فاس ، بلاد الهبط) غير أنه لم يزر بقية بلدان االمنطقة ؛ وإن كان إلا أنه قد أسهم اسهاما كبيرا في التراث المغاربي في بُعده اللامادي برباعياته المتسمة بالحكمة ؛ حيث أصبحت هذه الرباعيات مادة للجلسات الشعبية في شمال إفريقيا في الماضي والحاضر وبذلك يكون للمجذوب حضور في المخيال الاجتماعي المغاربي بتراثه الشفهي .

ربما لم يع المغاربة آنذاك هذا العمق في الصلات من خلال تلك الأمور المذكورة ؛ لأنها تمت بعفوية إلا أن الدارس لمثل هذه الأمور والمطلع على الوثائق الأصلية في وقتنا يمكن له أن يلاحظ الصلات الأخوية العميقة التي أكدتها بعض النماذج.

ومن خلال كل ما سبق نقول أن الفعل الحضاري للمغاربة في الجزائر خلال العهد العثماني هو المحافظة على المستوى الطبيعي للعلاقات البينية ، تمتينا لتلك الأواصر التاريخية ـ بغض النظر عن العلاقات السياسية ـ لأن اختلاف الأطر في التسيير السياسي لبلدان المنطقة لم ولن يكون أبدا دليلا على تأصل وعمق العلاقات التاريخية بين الشعوب المغاربية ؛ لذا ندعوا الباحثين لولوج الدراسات المتعلقة بالتاريخ الحضاري المغاربي من أجل استعادة الصورة الحقيقية لمغرب الشعوب .

قائمة المصادر والمراجع :

المصادر:

1- باللغة العربية :

أ ـ المخطوطات ـ وثائق المحاكم الشرعية ـ

العلبة :	رقم الميكروفيش :	رقم الوثيقة :
2	2	62
4	1	42
2/9	3	1

10	5	20
14	1	29 ، 5
	4	144 ، 138
1/14	4	166
17	1	181
	2	24
1/26	1	8
58	2	41، 54، 56
	6	193

ب ـ المطبوعة :

التمجروتي : أبو الحسن علي ، النفحة المسكية في السفارة التركية ، تقديم : سليمان الصيد ، دار بوسلامة ، تونس : 1988 .

ابن حمادوش الجزائري: لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال، تقديم وتحقيق: أبو القاسم سعد الله ،المكتبة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر :1983.

خوجة ، حمدان بن عثمان : المرآة ، تحقيق : محمد العربي الزبيري ، ط 2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الرغاية ـ الجزائر : 1982.

أبو راس ، محمد الجزائري : فتح الإله ومنته ـ في التحدث بفضل ربي ونعمته ـ ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، [1986].

ابن زاكور الفاسي : نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان ، تحقيق : مصطفى ضيف ومحفوظ بوكراع ،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،[2011] .

الزهار ، أحمد الشريف : مذكرات ، تحقيق : أحمد توفيق المدني ، ط 2 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر : 1980.

الزياني ، أبو القاسم : الترجمانة الكبرى ـ في أخبار المعمور برا وبحرا ـ ، تحقيق وتعليق : عبد الكريم الفيلالي ، ط 2 ، دار نشر المعرفة ، الرباط ـ المغرب : 1991 .

ابن سـودة ، عبد السلام بن عبد القـادر : إتحـاف المُطالـع بـوفيـات أعـلام القـرن الثالـث عشـر والرابع ،تحقيـق : محمد حجي ؛ ضمـن : موسوعة أعلام المغرب ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1996 ، ج 7 .

الشويهـد ، عبد الله بن محمد: قانـون أسواق مدينة الجزائر ، تحقيق : ناصر الدين سعيدونـي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 2006 .

العُدواني ، محمد بن محمد بن عمر: تاريخ العدواني ، تقديم وتحقيق :أبو القاسم سعد الله ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 2005 .

ابن عسكر، محمد الحسني الشفشاوني :دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط2 ، دار المغرب، الرباط ـ المغرب: 1977.

ابن عمار الجزائري ، أبو العباس أحمد : نحلـة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، مطبعة فونتانة ، الجزائر : 1902 .

العياشي ، أبو سالم عبد الله بن محمد : الرحلة العياشية ـ 1661- 1663 ـ ، تحقيق : سعيد الفاضلي وَ سليمـان القرشي ، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة : 2006 .

الفكون ،عبد الكريم : منشور الهداية فـي كشف حال من ادعى العلم والولاية ، تقديم وتحقيق : أبو القاسم سعد الله ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان :1987.

القادري ، محمد بـن الطيب : نشر المثانـي لأهل القرن الحادي عشـر والثانـي ، تحقيـق : محمـد حجـي و أحمد التوفيـق ؛ ضمن : موسوعة أعلام المغرب ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1996 ، الأجزاء : 3 ،4 ،5 ،6 .

ابن القاضـي ، أبو العباس أحمد بن محمـد المكناسـي : درة الحجـال فـي أسماء الرجال ، تحقيـق : محمد الأحمدي أبـو النور، ط1، المكتبـة العتيقة ، تونس ـ دارالتراث ، القاهـرة : **1971**، 3 م .

كربخال ، مارمول : إفريقيا ، ترجمة : محمد حجي وآخرون ، مطابع المعارف الجديدة ، الرباط ـ المغرب : 1984 ، ج 1 ، ج 3 .

مخلـوف ، محمد بن محمد : شجـرة النـور الـزكيـة في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ، القاهرة : 1349هـ ، جزآن .

ابن مريم : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، مراجعة : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر : 1908 .

ابن المفتـي حسين بن رجب شـاوش : تقييـدات ابـن المفتـي في تاريـخ باشـوات الجزائـر وعلمائها ، دراسة وتحقيق : فارس كعوان ، ط1 ، بيت الحكمة ، العلمة ـ الجزائر : **2009.**

مقديش ، محمود : نـزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، تحقيـق : علـي الزاوي وَ محمـد محفوظ ، ط 1 ، دار الغـرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1988 ،جزءان .

المقري ، أحمد بن محمد : روضة الآس العاطرة الأنفاس ـ في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس ـ ، تصدير : عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ـ المغرب : 1983 .

ابن ميمون الجزائري ، محمد : التحفـــة المرضية فـــي الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق و تقديم : محمد بن عبد الكريم ، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر : 1981

الناصري ، أبو العباس : الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ـ المغرب: 1955،ج5 ، ج6 ،ج7.

الوزان ، حسن : وصف افريقيا ، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1983.

الوزيـر السـراج : محمد بن محمد ، الحلل السندسيـة في الأخبار التونسيـة ، تقديم وتحقيق : محمد الحبيب الهيـلة ، دار الكتب الشرقيـة ، تونس : 1973، ج 2، القسم 1.

الوفراني ،محمد الصغير : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، تصحيح: هوداس ، باريس ، 1888.

2 ـ باللغة الفرنسية:

De Haido :Topographie et histoire général d'Alger ,traduit de l'espagnol : Monnereau et A. Berbrugger ,1870 .

De Paradis , Venture : Alger au 18e.siecle ,edite par :E. Fagnan ,Alger : 1898 .

Tachrifat - Recueil de notes historique sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger -, Albert De Voulx ,imp. Des gouvernement , Alger : 1852.

ـ المراجع :

1 ـ باللغة العربية :

أ ـ الكتب :

الأرقش ، دلندة وجمال بن الطاهر وعبد الحميد الأرقش : المغرب العربي الحديث ـ من خلال مصادره ـ ، مركز النشر الجامعي ، (د. م.) ، 2003 .

ألتر ،عزيز سامح : الأتراك العثمانيون في شمال افريقيا ،تر.: محمود علي عامر، ط 1 ، دار النهضة ، بيروت ـ لبنان : 1989.

حجي ، محمد : الزاوية الدلائية و دورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية، الرباط ـ المغرب : 1964 .

الحفناوي ، أبو القاسم محمد : تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة فونتانة الشرقية ، الجزائر : 1906 ، جزآن .

بن خروف ، عمار : العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب ـ في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ـ ، دار الأمل ، الجزائر : 2006 .

العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب ـ في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ـ ، دار الأمل ، الجزائر : 2006 .

رزوق ، إبراهيم : دراسات في تاريخ المغرب ، ط1 ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ـ المغرب : 1991.

سعد الله ، أبو القاسم : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1998، جزآن (1 و2) .

سعيدوني ، ناصر الدين : ورقات جزائرية ـ دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ـ ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان ، 2000 .

الشريف ، محمد الهادي : تاريخ تونس ـ من ماقبل التاريخ إلى الاستقلال ـ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد عجينة ، ط3 ، دار سراس للنشر ، تونس ، 1993 .

ابن أبي الضياف ، أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،تحقيق : لجنة مـن وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ،(د. م.)، 1999 ، م 4 ، ج7.

الطيبـي ، محمد : الجزائر عشية الغزو الإحتلالي ـ دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات ـ ، ط1 ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، الجزائر : 2009.

عامر ، محمود علي ومحمد خير فارس : تاريخ المغرب العربي الحديث ـ المغرب الأقصى ـ ليبية ـ ، منشورات جامعة دمشق ، (د.ت.).

عبد القادر ، نور الدين : صفحات في تاريخ مدينة الجزائر ـ من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد العثماني ـ ، دار الحضارة ، بئر توتة ـ الجزائر : [2006] .

عبد المنعم جاد الله ، منال : التصوف في مصر والمغرب ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ـ مصر : [1997] .

العروي ، عبد الله : مجمل تاريخ المغرب ، ط2 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ـ المغرب ، بيروت ـ لبنان ، 2009 ، ج 3 .

العوامر، محمد الساسي إبراهيم : الصروف فـي تاريخ الصحـراء وسوف ، تعليق : الجيلاني بن إبراهيم العوامر ، ط 2 ، منشورات ثالة ، الأبيار ـ الجزائر : 2009 .

غطاس ، عائشة : الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700- 1830) ـ مقاربة اجتماعية اقتصادية ـ ،المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، الرويبة ـ الجزائر: [2007] .

الكتانـي ، عبد الحي بن عبد الكبيـر : فهرس الفهارس و الأثبات ومعجم المعاجم و المشيخات والمسلسلات ، ط2، دارالغرب الإسلامي، بيروت ـ لبنان: 1982، جزآن .

الكتاني ، محمد بن جعفـر بـن إدريس : سلـوة الأنفاس ومحادثـة الأكياس بمن أقبـر من العلماء و الصلحاء بفاس، تحقيق : محمد حمزة بن علي الكتاني ، (د. ن.) ، الرباط ـ المغرب : 2005 .

كنـون، عبـد الله: النبوغ المغربـي فـي الأدب العربـي ، ط 2 ، (د . ن) ، طنجة ـ المغرب : 1960 ، 3 ج .

كواتي مسعود و محمد الشريف سيدي موسى : أعلام مدينة الجزائر و متيجة ، ط2 ، منشورات الحضارة ، بئر توتة ـ الجزائر : 2010 .

محفوظ ، محمد : تراجم المؤلفين التونسيين ، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ـ لبنان : 1994، ج1 ، ج2 ، ج4 ، ج 5 .

محمد الشريف، ناصر الدين: الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيارق، الأردن ـ لبنان: 1999.

المنصور، محمد:المغرب قبل الاستعمار ـ المجتمع والدولة والدين (1792- 1822) ـ، ترجمة : محمد حبيدة ، ط1، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ـ المغرب، بيروت ـ لبنان، 2006

المنوني ، محمد: المصادر العربية لتاريخ المغرب ـ من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث ـ ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ـ المغرب: 1983، ج1.

الهلالي ، محمد تقي الدين: الهدية الهادية إلى الطائفة التيجانية، ط2،(د.ن.) ، (د.م.)، 1977 .

هلايلي ، حنيفي : أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني ، ط 1 ، دار الهدى ، عين مليلة ـ الجزائر: 2009 .

وولف ، جون ب. : الجزائر وأوربا 1500-1830، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، 2009 .

ب ـ الرسائل الجامعية :

آيت سوكي ،محند آكلي : تأثير القوى الدينية في منطقة القبائل وأدوارها و مواقفها في مختلف الجوانب الحياتية ـ من القرن 10 ـ 13 هـ/ 16 ـ 19 م ـ ،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر : 2006 ـ 2007 .

حيمر، صالح : التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1541 وتأثيراته الإقليمية والدولية، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة باتنة : 2006 ـ 2007 .

حماش ، خليفة : الأسرة في مدينة الجزائر ـ خلال العهد العثماني ـ ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ ، جامعة منتوري ـ قسنطينة : 2006.

شدري معمر،رشيدة : العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر - فترة الدايات (1671-1830م) -، مذكرة لنيل شهادة الماجستير،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر: 2005- 2006م .

محرز، أمين : الجزائر في عهد الأغوات (1659-1671)، مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ ، جامعة الجزائر : 2007 - 2008 .

ج - المقالات :

الأخضر، محمد : " من أعلام المغرب العربي - محمد بن سليمان الروداني1037-1094هـ / 1626 -1683 م - "، مجلة دعوة الحق ، (المغرب)، س 16/ 3 ، جانفي 1973 ، ص ص 164 - 168 .

علي الشريف ،الطيب : "ملامح ثقافية من علماء ليبيا وأدبائها في العصور الإسلامية "، مجلة آفاق الثقافة التراث، (دبي)،ع 29-30 /2000 م ، ص ص 137-151.

الفكيكي ، حسن : " من أعلام الريف الشرقي في القرن الحادي عشر - عيسى بن محمد الراسي البطوئي - " ، مجلة دعوة الحق ، (المغرب) ، ع 250 / جويلية 1985 ، ص ص 34 - 43 .القسم الثاني: ع 251 / أوت 1985 ، ص ص 75 - 78 .القسم الثالث :ع 252 / سبتمبر 1985.القسم الرابع : ع 253 / أكتوبر- نوفمبر - ديسمبر 1985 ، ص ص 95 - 100 . القسم الخامس: ع 256 / أفريل - ماي 1986 ، ص ص 115 - 120.

فلاق ، محمد :" الرؤية الصوفية في شعر محمد بن علي آبهلول المجاجي "، دورية الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،ع 4 / 2010، منشورات جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف - الجزائر ، ص ص 7 - 11 .

القاسمي الحسني ،عبد المنعم : " الزاوية الرحمانية وأثرها في الوحدة المغاربية "، مجلة الدراسات الإسلامية ،(الجزائر)، ع 9 /جوان 2006 ، ص ص 139 - 157 .

المنوني، محمد : " عبد الرحمان الجامعي الفاسي - حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير- "، مجلة دعوة الحق ،(المغرب)،ع 5 - 6/ مارس 1974، ص ص 77 - 89 .

" ابراهيم التازي - نموذج بارز للتبادل الثقافي بين المغربين - " مجلة دعوة الحق ، ،(المغرب)،ع 270 / 1988 ، ص ص 60 - 65 .

د ـ المعاجم والموسوعات :

كنون، عبد الله : موسوعة مشاهير رجال المغرب ، ط2، دار الكتاب المصري ـ دار الكتـاب اللبناني ، القاهـرة ـ بيروت : 1994 ، مـج.5 ، ج 5 .

نويهض ،عادل : معجم أعلام الجزائر ـ من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر ـ ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت ـ لبنان : 1980 .

هـ ـ البحوث المنشورة :

الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية و الاجتماعية لخنقة سيدي ناجي : في الذكرى المئوية الرابعـة لنشأة خنقة سيدي ناجي (1602 - 2002 م) - بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات للبعض من أعلامها ـ ، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر: 2002.

2 ـ باللغة الفرنسية :

أ ـ الكتب :

Carette : origine et migrations des principales tribus de l'Algerie ,imp.imperale .

Depont ,Octave et Xavier Coppolane :les confreries religieuse musulmanes , imp. Adolphe Jourdan ,Alger :1897 .

H. D. , De Grammont, histoire d'Alger sous la domination turque (1515 -1830), Paris ,1887.

Mercier, Ernest : Histoire de Constantine, J. Marle et F. Biron, Im. Constantine : 1903.

Rinn, Louis : Marabout et Khouans –Etude sur l'Islam en Algerie ,Adolphe Jourdan ,Libraire –éditeur , Alger : 1884.

ب ـ المقالات :

Delpech , Adrien : " Résumé historique sur le soulèvement des Derk'aoua de la province d'oran " in **R.A**. Nº18.

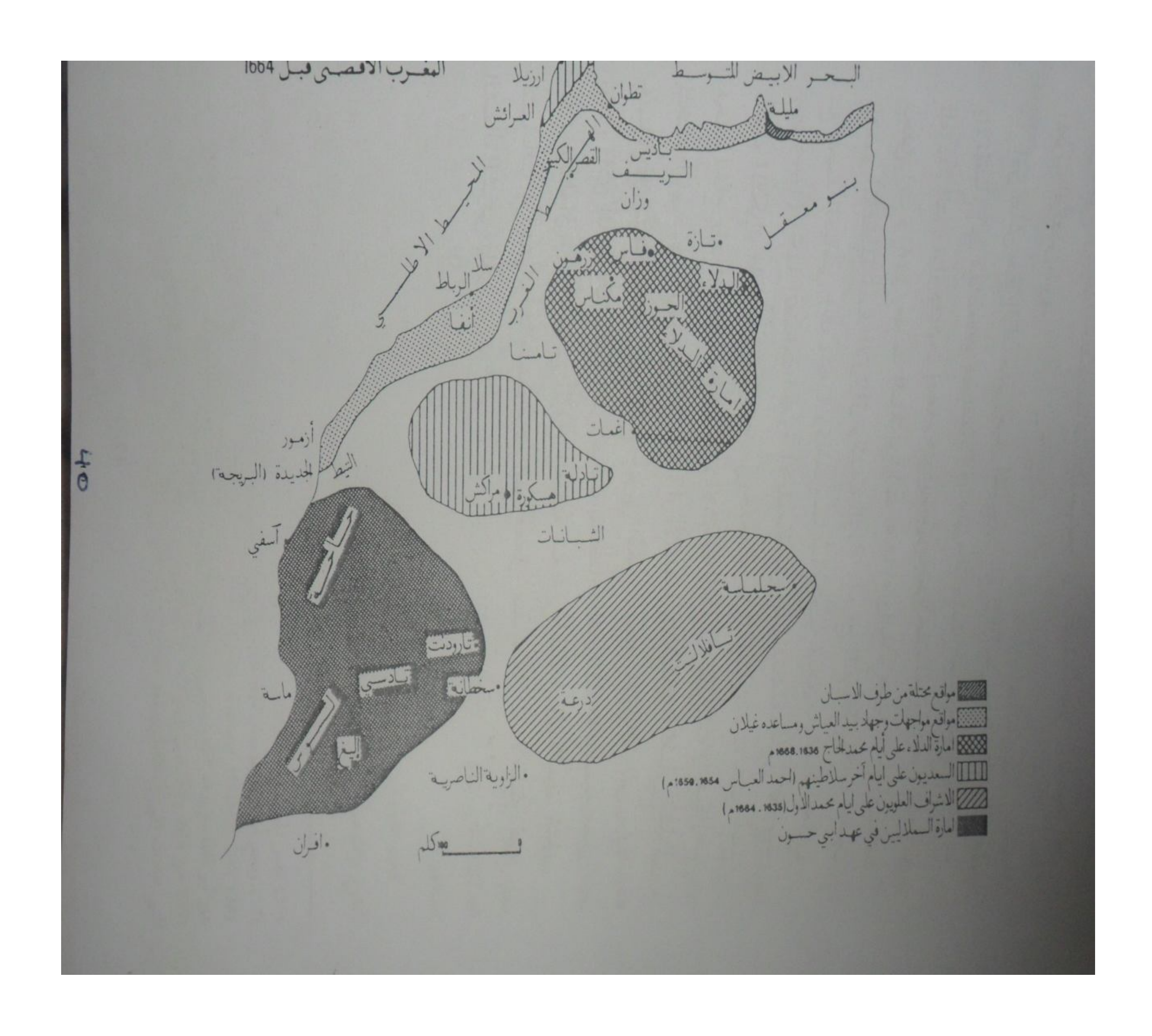
Delpech , Adrien : " Un diplôme de mok'eddem de la confrérie religieuse Rahmania " in **R.A**., Nº18.

F . Elie de la Primaudaie : " documents inédits sur l'histoire de l'occupation Espagnole en Afrique (1505 – 1574) " in **R.A.,** Nº 21.

الملاحـــــــــــــق :

ملحق رقم 1 .

الخريطة السياسية للمغرب الأقصى بعد وفاة أحمد المنصور .



المصدر : لطفي عيسى ، مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر ، سراس للنشر ، تونس ، 1994 ، ص 48 .

ملحق رقم : 2 .

رسالة الشيخ تاج العرفين إلى الشيخ عبد الكريم الفكون :

الحمد لله الذي أطلع شمس الطلعة الفكونية من الأفق الغربي ، ويا عجبا من طلوع الشمس منه أمانا للعالم ، وجمع فيها ما افترق من شتات العلوم في كل نحرير عالم ، وأزاح بها سحب الإشكال ، وأراح بها من سجف الجهالة المخدرة لوجوه المعاني والأشكال ، وقيد بهاش وارد العلوم ، وقرن بها على طريقة التحقيق بين المنطق والمنطوق منها والمفهوم ،أحمده حمد من رغب إليه في استصواب الصواب ؛ وأشكره شكر من علم أن شكره سبحانه هو غاية المرغوب والثواب ؛وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد محقق في إيمانه ، مخلص في عرفانه وإيقانه ؛ ونشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي أوتي من الكلم جوامعه ، وعمر به من كل سبيل صوامعه وجوامعه ؛ اللهم صل وسلم عليه وعلى آله أولي الجد والتحقيق ، وأصحابه خير صحب وأكرم فريق ، ما ذر شارق وشرق غارب ، وسكب هاطل وهطل ساكب .
وبعد ، فسلام يسابق النسيم ويجاري برقته نفاسة التسنيم ، ويصافح الروض فيكتسب من نشره ، ويفاوح الأزهار فلا تجد أذكى من زهره ، يسترق العنبر من عبيره ، ويسترق المسك لفوته عنه في كثرة الشم وتكريره ، كما قلت :

أهـــــدي إلـــيـــك ســـلامـــــا   يـــفـــاوح الـــنـــد نـــشــــره
يـلقـــاك مـــن كـــل فــــج   إذا تـــــلقـــــاك بـــشـــره

أهديه إلى كذا وكذا (وعدد من الأوصاف الجميلة ما أنا خال منها ولو من بعضها ولا أستحقها علما وعملا ، لكن أرجو من المولى الكريم بجاه نبيه سيدي ومولاي ومخدومي الأسمى محمد صاحب الجاه العظيم أن يجعلني كما يظن الخلق بي ولا يفضحني بينهم في الدنيا ولا في دار الآخرة ، إنه جواد برٌّ رحيم . ثم قال بعد الأوصاف المذكورة) : من لنا إلى حبه ركون ، سيدي عبد الكريم الفكون ، كان الله له في الحركات والسكون ، آمين .
هذا واعلم أيها الصديق الحميم ، أذاقنا الله وإياكم برد الرضى والتسليم ، أنه رقمته الخجل في الوجنات يبدي حمرته ، والوجل يظهر تارة صفرته ، في منزل به خيام المحال ، أسأل الله أن يجعل الإسعاد بها لا من الحال . وقد تفاءلنا باسمه جابر ، وقد طاب منه مشربه الرائق الزاهر ، منزل جبر الله فيه القلوب ، ويسر فيه كل مطلوب ومرغوب ، من إصلاح الله سبحانه بين عباده ، ورد سيف المعاند والكائد في أغماده .
وموجبه أوجب الله لكم السعادة ، ويسَّر لكم أسباب الحسنى وزيادة ، إن السيد الفقيه المشارك الوجيه سيدي أبا العباس أحمد بن الحاجة ، شنَّفوا أسماع الفقير ، بما لا يسعه وقع لسان القلم وإملائه على الطرس والسطير من محاسن أخباركم التي تراءت لنا منهم بكل وجه جميل ، وكرروا علينا عائدها الذي وصلونا به في البردين والمقيل . ولقد قلت في ذلك :

شغفت بكم لما تشنَّنف مسمعي   وعشق الفتى بالسمع مرتبة أخرى .

لا جرم كاتبناكم وأيدي الأشواق تتلقف حبّات القلوب ، وقد شبّ عمرها عن الطوق وكفى أن علم ذلك علام الغيوب . وأعلمكم أني لا أنساكم من الدعاء ، كما أني أطلب ذلك منكم لا سيما بإصلاح / الوعاء ، فإن الدعاء بظاهر الغيب مستجاب ، والتحابب في الله في هذا الزمان الصعب من العجب العجاب ، ولا تنسنا من مكاتبكم مع الواردين ، كما أنها ترد إليكم منّا مع الصادرين ، سقاكم الله رحيق الود في كاسات الإخلاص ، وأورد صحائفكم مبيّضة الوجوه مع زمرة صحائف أهل الاختصاص ، ومن معنا من الجماعة وهم : سيدي محمد العامري ، وسيدي علي الشرقي ، وسيدي محمد الأندلسي ، وسيدي الحاج عون الله ، يهدون إليكم أطيب السلام ، ويخصونكم بالتحية والإكرام ، ويطلبون صالح دعواتكم ، في خلواتكم وجلواتكم ، ومعاده عليكم منا ورحمة الله تعالى وبركاته .

رقمه بأنامل التقصير ، العبد العاجز الفقير ، المذنب الجاني ، محمد تاج العارفين العثماني ، لطف الله تعالى به بمنه ، بتاريخ أوائل شهر قعدة الحرام من عام سبعة وثلاثين وألف بقصر جابر ، جبر الله صدع قلوبنا ، وغفر عظيم ذنوبنا ، وجعل استعدادنا لمعاده ، وتوفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا منه زلفى بمنه ورحمته ، وصلى الله على مسكة الختام ولبنة التمام ، سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

المصدر: الفكون ، منشور الهداية ، مصدر سابق ، ص ص 215 - 218

الملحق رقم : 3 .

رسالة ابراهيم الغرياني إلى الفكون :

الحمد لله ، وصلى الله على أكرم خلق ، وعلى آله وصحبه الكرام الأجلّة .

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن عبد اللطيف الغرياني ، لمّا دعاني داعي الحب والتودد إلى سيدي عبد الكريم الفقون وطلب الدعاء منه لي ولأولادي ، أردت أن أكتب له هذه العجالة ، وأسأل المولى أن يجود علينا نواله ، وهي هذه كما ترى ، وذلك بعد أن ألهمني إلى ذلك الحبيب الصديق سيدي احمد بن الحاجة ، جزاه الله عني خيرا دنيا وأخرى ، لأنه محب صديق ، وكان لي في غربتي رفيق ، وعليّ شفيق .

الحمد لله الذي خلق الأرواح جنودا مجندة فما تعارف / منها إيتلف ، وما تناكر منها اختلف ن وجعل غي الغالب أن الخلف تبع للسلف ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي المختلف والمؤتلف ، ما نظم ناظم واستنبط وألف ، وبعد فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى إبراهيم بن سيدي عبد اللطيف الغرياني القيرواني ، خديم الزاوية الشريفة ذات المعاني ، المعمورة لبثّ العلوم والحديث وإقراء كتاب الله والسبع المثاني ، إن أحسن الاعتقاد وطلب الوداد أغراني أن أتطفل على ساحة الشيخ الإمام الرباني ، سيدي عبد الكريم االفكون الخطيب الحقاني ، وأكتب له ابياتا تكون راسخة للوداد وتبلغني بدعائه غاية المراد ، بفضل الملك الجواد ، وأسأله أن ينظرها بعين الرضى ، وأن يسدل عليها ذيل الاغضا ، لأني كتبتها وأنا مشوش البال بالسفر ، وأنا عند نفسي أقصر وأصغر ، وقد قدمتاه مقدمة مهملة الحروف ، مصليا ومسلما على النبي الرؤوف ، وعلى آله وأصحابه ذوي الخيرات والمعروف . وكان فيها حال الإقامة بمكان يقال له قصر جابر ، حين قدومنا للصلح بين السادة الجيشين الأكابر ، صحبة مولانا وسيدنا أبي العز / تاج العارفين ، ذي والإحسان والتمكين ، في غرة قعدة الحرام ، من عام سبعة وثلاثين (وألف) من هجرة خير الأنام ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وهذه المقدمة كما ترى : الحمد لله وحده ،وصلى الله على مولى اللواء والحلل ، دواء أهل الهموم والعلل ، موصل أصول أحكام الهدى لأهل الدول والملل ، وعلى آله وأهل وده الكرام الكم ، ما هلّ صادع وصدع وهلّل ، حمد الله هو أولى ما سطر وصدّع المهلل ،أول الحكم والمصارع ،وأحلى ما مرّ ورد على المسامع ، وأسعد ما رصع على أصول العلوم والمطالع ، وأود ما حرر واطرد ما أولاه الصلحاء لكل والع صادع ،ومهما كلل حلل الكلام على الدرر واللوامع ،وهو الموصّل والموصل إلى سمو أعلى المطالع .

أحمده حمد مملوك مادح حامد طالع ،وأوحده وهو الواحد الملك المالك كل مصل وراكع ،وأدعه ما سطر اهل الأود الهوامع ، لا إله إلاّ هو وحده لاحاكم معه ولا وال ولا

مطالع ، مصل ومسلم على الرسول الطاهر المراد خامل لواء الحمد والمحامد ،وأكرم كل مكرم وأحمد كل حامد ، وعلى آله وأهل وده السعد الكرماء على المساعد والمسادد / أهل العطاء والإكرام للمسعد والمساعد والطرد والعدم للمعدوم والمحادد ، أرسله لهم لامد إلى أحلا الكؤوس وأوسع الموارد ، ماكمل ورد وسعد الصاعد الوارد ، وما هل مهل وساح وروى كل طالع وصاعد ، الإمام العالم العلم ، العدل الصالح المكرم ،الأمر الممدوح المسلم ،مسيل أهل الحلل والحلا ، وكمال أهل الكمال والعلا ، مادحكم صار مسامرا للسها ، وعلى عهدكم ما كلّ ولا سها . وحرم الطعام والسها ، وما وصل إلى مراد وهام ووصل ، وعلى كل مدحكم ما حصل ، هل وعسى ولعل ، ها هو مساع للطرس والمراد ، مول على دوام مدحكم سائلكم الامداد ، والله أسأل الصلاح والسداد ، وصلى الله على أكرم مرسل ، ما هل هامع الدمع المرسل ، وعلى آله أهل الموصول والمسلسل ، ما صاح على الدوح حمام سلسل ، وحلا كاس عسله المسلسل .

وهذه القصيدة كما ترى :

هل من يبلغ ذات الحلي والحلل	سلام صبّ بُلي يالهجر والخلل
بُنيّة بنت عشر عرف بنيتها	يُحيي النفوس ويُبري القلب من علل
ليلية الشعر الهندي مفرقها	مبيضّة مثل ضوء في السماء علل
وردية الخد قنوا الأنف من مزجت	بكأس مبسمها الراووق بالعسل /
دريّة الشنب الشّهدي قد منعت	شربي فصرت بها كالشارب الثمل
وقد تلألأ من ترتيب طرتها	صبح وليل توالي البدر في أفل
تلثمت بلفاع من ظفائرها	تروم لدغ قُليب بالغرام بُلي
وقد رمي رمية رامت لها كبدي	فصادفت صدفا في نيله فللي
برنية الزند شدت فوق معصمها	شباك تبر اصيد الصب كالحبل
هيفاء مغنجة نجلاء مدعجة	حوراء مكحلة لكن بلا كحل
عدت وعادت إلى العداون مسرعة	ولم تعُد مُعدما قد حل في الوحل
رزينة الردف في تدوير سرتها	عبيق مسك وكافور بال زلل
وقلبها مثل صخر في قساوته	ياليته ليّنا كالخصر محتفل
وليت دهري إذا ما جئت آمله	يكون لي حكما يقضي عليّ ولي /
تفلتت أتلفت لبي وما انفتلت	يا ليتها التفتت عطفا على وهلي

فقلت هلاّ أقلت عثرتي قربا قالت لقد قلت عمّت وهي في شغل

تفندت خيل شوقي ربعي مهجتي روجت صون فؤاد بالغرام بُلي

غارت جيوش النّوى بالصد قاتلة ترمي سهاما لعدمي من قسي المقل

فصادفت مهجتي وازداد بي ولهي وصرت مضنى كئيبا ضرني وحلي

فقلت يا معشر العشّاق فانتصروا إني قتلت بلا ذنب ولا زلل

فقال قائلهم إن كنت تصدق في ما قلت قتلك يحلو عندنا فسل

فقلت يا غادة الحسن التي فتنت بحسنها عقل صب (؟)

هل لي رجاء لوصل منك ينعشني وإن نفرت فلي مولى له أملي

شيخ فقيه وليّ عالم علم به افتخاري وعهدي عنه لم يحل /

سألته ينظرن دهرا فهولني عسى بذا دائما أبدي له كسلي

ربي ينيل مرادي إنني لهج في قربه ومرادي نلتقي أملي

لأنه فاضل فاق المناظر في كل المكارم من جار ومرتحل

في دهرنا هو عزّ اللائذين به ولم يعوّل بذنياه على رجل

فإن نحا ببيان جل منطقه وإن تكلم في التوحيد قل وسل

مؤرخ فاضل بالفقه مترز محدّث بحديث صحّ في الأصل

وهو الذي تبريء الأسقام دعوته وينعش الروح بالآيات عن عجل

وفضله شاع بين الناس مشتهرا كالبدر يعلو لنا لكن بلا أفل

فمن يشابهه في حسن سيرته ومن يناظره في السير كالمثل

وقد سما بعلوم عزّ مطلبها قد نالها بالتقى كلاسادة الأول /

وإن مشى خلفه الأضداد هرولة لا يدركون ولو مشى على مهل

يا هل ترى التقى من عذب مورده شربا يسوغ سريعا تشتفي عللي

وإن تباعدت الأجسام يجمعها وصل القلوب وهذا غاية الأمل

لقول خير الورى مهما تعارفت الا رواح اتصلت في سابق الأزل

باالله لا تنسني فوق المنابر من دعائكم إنني في غاية الوحل

لأن فضلكم قد شاع في زمن أهواله كثرت والحال يشهد لي

ثم السلام عليكم كلما طلعت غزالة الصبح ترعى نرجس الأثل

وبعد أهدي الصلاة والسلام معا لسيد الخلق والأملاك والرسل

والصحب والآل والأتباع ما قرئت هل من يبلغ ذات الحلي والحلل

هذا خاتمه ...

المصدر : الفكون ، منشور الهداية ، مصدر سابق ، ص ص 218 - 222

ملحق رقم : 4

نص شهادة الورززي على كتاب الدرر على المختصر لابن حمادوش :

" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. يقول من يضع اسمه عقب تاريخه أن مؤلف هذا الشرح على / مختصر الشيخ السنوسي ، وهو الشريف سيدي عبد الرزاق ابن محمد الجزائري ، سرده علي على وجه المذاكرة لعل أن نجد فيه ما يحتاج للاصلاح أو التكميل ، فأصلحنا منه المواضع التي تحتاج الى الاصلاح على حسب ما سهل الله سبحانه علينا . ونرجو من الله سبحانه أن يكون كله أو جله صوابا . وان وقع فيه خطأ فيكون معدودا محصورا . وهو ان شاء الله يصلح للاقراء والمذاكرة . والله ينفعنا واياه به نفعا تاما ، يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت هذه المذاكرة أواخر رمضان وأوائل شوال عام 1159 ، وكتب الفقير الى الله سبحانه أحمد بن محمد الورززي ، أصلحه الله وأصلح به بمنه دائما . انتهى بحروفه ."

المصدر : ابن حمادوش ، الرحلة ، مصدر سابق ، ص 259 .

الملحق رقم : 5 .
قصيدة لأحمد بن أحمد الدلائي ت 1091هـ كتبها بمنفاه تلمسان :

أريحا سرت بين الحدائق والنهر معنبرة الأذيال من نفحة الزهر
وبانت بوادي الغدر تسحب ذيلها وللصبح غارات على الأنجم الزهر
وزارت رياض الحزن والطل قد غدا يقلدها عقدا نفيسا من الدرّ
ومرّت على أكناف دارين فانثنت تفاوح عرف المسك والعنبر الشحر
إذا ملت نحو الغرب يوما فبلغي تحية مشتاق إلى ابن أبي عمر
خليلي ومن صافيته الود في الهوى وأرعى له في السر عهدي وفي الجهر
وأهتاج شوقا إن سرى الركب نحوهم وأهفو كام تهفو الحمائم للوكر
وقصي عليه ما لقيت من النوى غداة استقلوا والركاب بهم تسري
وأنّي على العهد القديم لثابت وحاشى لعهدي أن يحول إلى غدر
وفرط اشتياقي نحوه وتذكري لأيامنا التي غدت غرة الدهر
زمان الصبا إذ عيشنا الغض رائق يرفّ رفيف الزهر في عقب القطر
وإذ نحن في ظل من العز وارف وغصن الصبا يهتز في حلل خضر
وقولي له لا تنس ما كان بيننا فحفظ عهود الود من شيم الحر
وعرج على ربع الدلاء وحيّه تحية مشبوب الجوانح والصدر
يمينا لقد خلفتموني بعدكم أخا وله حيران في مهمة قفر
كئيبا كأن الأرض حلقة خاتم علي ومن لي بالتجلد والصبر
فلو أبصرت عيناك ما بي من الأسى وما بضمير القلب من لهب الجمر
لأحزنكم حالي وفرط تشوقي وشدة ما ألقاه من فادح الضر
يمثلك الفكر المروع من النوى فأرتاح إذ يبدو خيالك في فكر
ويدنيك مني الوهم حتى كأنني أناجيك من فرط التشوف والذكر
(وحقك ما دار الجدار بموطني) ولكن قضاء حمّ من مالك الأمر
ألا ليت شعري هل أرى ذلك الحمى وأنتم بأفلاك السيادة كالزهر
وهل أتركن يوما تلمسان راحلا عليها إلى تلك المعاهد والوكر
فتدرك آمالي وتقضى (مآربي) وينسخ حكم البؤس والعسر باليسر
على أنني لو سرت عنها لأصبحت نوازع أشواقي لها دائما تسر
ولم لا ولي فيها إمام معظم أبو مدين قطب المشايخ والعصر
إمام له في حضرة القدس مقعد ينزه عن زيد هناك وعن عمرو
وإخوان صدق يكرمون جليسهم ويولونه ما يستحق من البر
وخذها على ما في الحشا من كآبة حديقة شعر جادها صيب الفكر
من الأندلسيات طبعا ورقة تحاكي اطراد الماء في صفحة النهر
من الكلم المنخول بالطبع لفظه يروق كما راقتك صافية التبر
تود الغواني لو ظفرن بدرها ليجعلنه عقدا على لبة النحر
كلاما كما نمنمت وشيا مفوقا صنيع فتى قد فاق في صنعة الشعر
تميل ابن زيدون لها طربا بها كما مال نشوان نزيف من السكر
ولو راسل الأحباب يوما بشعرها لما ذاق من ولادة مضض الهجر

ويهوى ابن عمار صناعة حوكها وطبق معانيها لألفاظها الغرّ
هدية من قد شط عنكم مزاره تجوب إليكم كل مستخشن وعر
سباسب جرد تعزف الجن حولها ويخفق فيها القلب من شدة الذعر
صحاصح تشكو الخيل من طولها الوجا مجاهل ضلت في فلاها القطا الكدر
تحن إلى مأوى السيادة والعلا فقابلها من معهود برك بالبشر
وحيي على بعد المدى بتحية معطرة الأذيال طيبة النشر
أجلة أعمامي وأهلي ومن له انتماء إلى غوث الورى ابن أبي بكر
وقل لهم إني على العهد ثابت مقيم عليه ما حييت إلى الحشر
وعذرا فإن البين (حيّر فكرتي) ولله أشكو ما تضمنه صدري
فلا زلت في أمن وعز مؤبد موقى مدى الحياة من نكبة الدهر

المصدر: القادري ، نشر المثاني ، مصدر سابق ، ج4 ، ص ص 1649 - 1651 .

ملحق رقم : 6

نص قصيدة للجامعي مهنئة الداي محمد بكداش بفتح وهران :

لقد فتكت بالقلب فتك البواتر ... عيون الظباء الآنسات الجآذر

وقدت بقد السمهري حشاشتي ... ففاضت عيوني بالدما ومحاجري

رعى الله ظبيا قد رعى حب مهجتي ... ولم يرع في نجد عرارا وحاجر

وما زلت أرعاه ويحسب أنني ... أخون له عهدا فيصبح هاجري

ويظهر إحساني إليها إساءة ... وبالعكس ما يبديه يبدو لناظري

بذا حكم الحسن البديع له ولي ... وما حاكم الحسن البديع بجائر

وإني وإن أبذلت عذري في الهوى ... فما عاذلي فيما أروم بعاذري

أيحسن عذل في ظباء عيونها ... ظبى شرعت في فتك الأسود الخوادر

تهز قدودا دعوص كأنها ... بنود تثنت في جنود الجزائر

جنود بها الإسلام عز مناله ... على كل جبار عنيد منافر

حموا بالصفاح البيض من كل عابث ... حماه فلم يعبث بها كف فاجر

فكم كسروا ثغرا به كانت العدا ... تبسم في وجه من الدين كاشر

فيا حاديى الأضغان حث براكب ... يؤم حماهم رغبة في الذخائر

وسر بي إللى ذاك الرباط فإنه ... ذخيرة ساع للجهاد وزائر

وإنك مهمى جئته جئت روضة ... مؤرجة أرجاؤها بالأزاهر

ديار بني عثمان ـ حيث تألفت ... ضباب ونور ـ مستقر للمسافر

بلاد برأس الغرب تاج مكلل ... وخلخال سوق الشرق غير ضوامر

بدت بمنصات الزمان كأنها ... عروس تجلت في أعالي المنابر

وقد قلدت من بحرها بموشح ... وصيغت لها الأمواج خلخال حاسر

ولاح بها باب الجزيرة مثلما ... تبسم ثغر في وجوه البشائر

كأن مجاز البحر معصم غادة ... تحلى سوارا واكتسى بجواهر

ولله أبراج بشاطئ بحرها ... تحاكي النجوم الزهر في عين خازر

كأن الرياض الخضر محدقة بها ذوائب أصداع الوجوه النواضر

غصون وأنهار وتلك لهذه تحن فتحنو لستلام الغزائر

فتبدو وقد حاك النسيم برودها نصال رماح في زرود مشاجر

ولله ما ضمته من كل منظر حلاوته ما مر تلفى بخاطر

فدعني من غرناطة وربوعها وشنيل فالحسن انتهى للجزائر

فما تفصل الحيراء بيضاء غادة مقرطفة بالبدر ذات غدائر

ومن لربوع بالجمال وقد غدت كخط زبور في قديم الدفاتر

وهذي ربوع حاطها بإحاطة مؤلفة من ستره خير ساتر

وما ألف شنيل ككف «محمد» سليل «علي» ذي الأكف المواطر

جرى وجرى البحر المحيط فكان ذا أجاجا وما أجراه حلو العناصر

فلو خضبت كفاه شيب جديبة من الأرض شبت بعد شيب الظفائر

ولو قابل البدر لمنير بوجهه لما زال يحكي السر عند السرائر

ولو شاء إغناء الورى عن شموسها بشمس الحجى لم تفتقر للظهائر

....

فلله منه همة علوية تفانت على درك العلا والمفاخر

ولم ترض غير الملك ملكا ولا أبت ركوبا سوى ظهر الجياد الحرائر

كما أنني لم أرض مدحي مالكا سواه ولا عادت عليه ضمائري

ولا وطئت رجلي رؤوس الفلا ولا حفت عين شعري نحو غير عشائري

وها أنذا يممته بنت فكرتي تجر حياء مرطها جر حائر

ولا زلت أدعوا كل رائد جنة وساع لنيل المجد أو كل شاعر

خليلي يمم روضه فهو يانع نضير شهي نوره للنواظر

ورد حوضه فهو الفرات ولذ به تجده حمى من كل طاغ وجائر

وكيف يخاف الدهر من حط رحله بسلطان جند من أسود كواسر

إمام حوى فضلا وعلما وسؤددا فحق له تقديمه في المآثر

سرى في جميع الدور أزكى حديثه فحدث عن العلم الصحيح التواتر

شريف زكا أصلا وفرعا ومحتدا إلى هاشم ينمى كبير الأكابر

أتيح له فتح جديد تطاولت له همم الأملاك باق وغابر

فلم ينل الأعداء منه مرادهم وما رجعوا إلا بصفقة خاسر

إلى أن أراد الله نصرة دينه فنبهه تنبيه يقظان حاسر

وجرد منه الحزم سيفا قراعه يفت صمام الصخر يوم التشاجر

فأضفى على«وهران» جيشين من ندى وآخر من رأي سديد مؤازر

وجر لها الإسلام جندا مؤيدا بتأييد منصور من الله ناصر

فكهرها من رجسها وأعادها عروسا تجلت في مراقي المنابر

فلله ما قد كان منه وأجره عليه وخير الأجر نعمة شاكر

وصلى إله الخلق ما هبت الصبا على مركز التوحيد قطب الدوائر

ولا زال غيث الفضل ينهل بالرضى على آله والأصحاب في كل خاطر .

المصدر : ابن ميمون ، التحفة المرضية ، مصدر سابق ، ص ص 187 - 196 .

ملحق رقم : 7 .

رسالة الزياني في مسجد بناه الداي حسن باشا :

الحمد لله الذي خلق الانسان ، وعلمه البيان ، وألهم من أحب من الملوك في الحديث والقديم ، إلى السبيل القويم ، وحبب لهم أفعال الخير ليبلغوا بذلك إلى القرار في جنات النعيم

وبعد ، فلما أراد الله جلت قدرته ، وتقدست أسماؤه وصفاته ، رجوعنا من الحرم الشريف ، ودخولنا لثغر الجزائر الشهير عن التعريف ، وإقامتنا به للمانع الذي حصل ، والعذر الذي بسببه بعد عنا ما كان بايدينا وانفصل ، كنت أجتمع مع أفراد من الأخيار ، وجماعة من العلماء الأبرار، وأتفاوض معهم في سيرة سلطانهم الأعظم ، الماجد الأكرم ، حامي بيضة الإسلام ، وناصر سنة سيد الأنام ، الذي قمع أهل الكفر وقادهم بلا رسن ، المنصور المؤيد السلطان حسن ، فذكروا لنا أوصافه السنية ، وسيرته المرضية السنية ، ما ملأ منا الأسماع أ وقام عندنا مقام الإجماع ، أبقاه الله لحياطة هذه الأمة ، وزاده عزا وحفظه من كل ءافة ونقمة .

فأردت أن أثبت ما سمعت من فضائله وان كنت لا أحصيها على التمام ، المشهورة عند الخاص والعام ، وأجعلها في قرطاس طلبا للأجر والثواب ، وإذا أحب الله عبدا ألهمه إلى الصواب ، لترسم في دفاتره ، وتوضع من جملة ذخائره ، فإنه حفظه الله من أمراء العدل ، ومن أهل المروءة والفضل ، لما جلس على كرسي « الخلافة » السعيد ، سوى بين القريب والبعيد ، وانتصف للمظلوم من الظالم ، وأعز المسكين والشريف والعالم ، وقمع أهل الزيغ والفساد ، وكف عايتهم غي كل بلاد ، وأجرى أحكامه على القانون الشرعي ، والمذهب الحنفي الموعى ، وأجرى الصدقات على الفقراء والأيتام ، والمعونة لأهل الحرمين في كل عام ، فشمل عدله الرعايا سهلا وجبلا ، وشاعت مكارمه أفرادا وجملا ، ثم حصن ثغور المسلمين بالقائل والأبراج ، وعمرها بالمدافع والمهارز على طبقات تحاكي الادراج ، وملأ خزائن الثغور بالبارود « والكور » « والبحب » ولاسلاح ، من المكاحل والسيوف والاسنة والرماح ، وأكثر من الجواري المنشئات في البحر كالأعلام ، وشحنها بكل من عساكر الاسلام ، للتضبيق على أعداء الدين برا وبحرا ، زاده الله عزا ونصرا ، إلى أن صير أجناسهم تحت الغلبة والقهر ، ووفدرا على أعتابه صاغرين من كل قطر يطلبون مهادنته على ما يطلب من الأموال ، والكون عند أمره في الأقوال والأفعال ، فوظف على كل جنس منهم ضريبة يؤديها في كل عام كالجزية ، ولا يسرح أسراهم إلا بضعاف المسلمين في الفدية ، وفي كل سنة يأتونه بالهدايا والوظائف ، والتحف الغريبة واللطائف ، أبقاه الله محفوظا ، وبعين عنايته ملحوظا ، ثم صرف همته لجهاد وهران ، وأخلاها من عبدة الصليب أهل الضلال والخسران ، ووجه لها عساكره رجالا و ركبانا ، وأمدهم

بالقبائل عجما وعربانا ، ووجه لهم المدافع والمهارز و ءالة الحرب ، وبكل ما ينفع للطعن والضرب ونزلت عليهم العساكر من كل جانب ، وكلهم للشهادة طالب وراغب ، وحاربوهم حرب المهاجرين والأنصار ، ووقع بالكفرة ما لم يقع بمصر من الأمصار ، إلى أن صار عليهم البلد دكا ، وحديث خلاصهم افكا ، فطلبوا الأمان لأنفسهم على أن يسلموا البلاد ، ولا يحملون الا نساءهم والاولاد ، فأنعم لهم بذلك ووفى ، وقرأ عليهم حسبي الله وكفى ،فأما عظم هذا الفتح الذي لم يحصل لملك من الملوك ، وحصل به السرور للغني والصعلوك ، وشاع بلاد الكفر والاسلام ، وتحدث به أهل اليمن والعراق وخراسان ومصر والشام ، ورفع له المسلمون أيديهم في المشرق والمغرب ، يدعون له بالعز كل أعجمي ومعرب ، فالله يطيل سعادته ، ويديم مجادته ، ثم وجه نظره في فكاك أسرى المسلمين من جميع ايالة الكفار ، والبحث عنهم في القرى والأمصار ، قاصدا بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته ، عملا بقول نبينا عليه من الله أفضل صلواته : «من فك أسيرا من أيدي الكفار ، حرم الله جسده من النار » ، وجازاه الله في الاخرة بالحور العين ، وأسكنه في الغرف التي في أعلا العليين ، ثم ألهمه إلى تطهير بقعة كانت بدار الخلافة مجمعا للأشرار ، ويباع بها الخمر للكفار ، فاشتراها وما حواليها بمال معتبر ، وصير عاليها سافلها وما تأنى في ذلك ولا صبر ، وصيرها مسجدا جامعا للإسلام ، ومعبدا لأهل الخير والدين والعلماء الأعلام ، وأنفق عليه من الأموال مالا تسمح نفس بانفاقه ، وعمره بالحلال الذي هو من خالص أرزاقه ، ورتب فيه أهل الهندسة و« الفلسفة » من كل صنعة ، وأتقنوا بناء سعة ورفعة ، وجعل أسفل هذا المسجد دكاكين وقهاوي ، وأوقفها على هذا المسجد المذكور ، الذي ادخره ليوم البعث والنشور ، وحقق قبلة هذا المسجد أهل العلم والفتوى وأوقف على عماراته من لا شك أنه من أهل الخير والتقوى ، وجمع له أنواع المرمر والرخام ، من بلاد الترك والأروام ، من كل قائم ومبسوط ، ومربع ومخروط ، ومدرج ومشجر ، ومنقوش ومسطر ، وخدود وقدود ، وقيام وقعود ، وأعتاب وأبواب ، وخصص ومحراب ، وفي وسطه قبة عظيمة مرتفعة في الفلك ، يفزع من لمعان أنوارها في البحر السمك ، قائمة على سواري كالصداري مجردات عواري ، يحاكين في بياض اللون ، البرد النازل من الكون ، كأنهن في القيام ، حور مقصورات في الخيام وجعل لهذه القبة سراجيب بأنواع البلور الذي لم ير في عصر من العصور ، يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ، ودار بهذه القبة قبب على شكل منمق كأنهن جدول موفق ، من ثنائي و ثلاثي و رباعي ، وخماسي وسداسي وسباعي ، ومقربص ومشجر وقاطع ومقطوع ومسطر، داخل وخارج وبخاريات ، وقصاعي وانصاف ترنجيات ، وفوق ذلك من الاسباغ كل لون غريب ، بتدبير أهل الحل والعقد والتجريب ، وكتبوا أسماء الله وءاياته ، وأنبيائه وخلفائه ، تعظيما بالذهب الإبريز الصيان ،وليس الخبر كالعيان ، وأدار بهذه القبة« شدورانا» من العود مموه بأنواع الاطلية الفائقة بالألوان ، يصلي فيها الأمراء والأجناد وأعيان الديوان ، عليه « ادواع » وأزهار واغصان وثمار وأطيار ، وأمامه كشك يجلس به المؤذنون وأهل الالحان والقراءات ، ومن له وظيف بالمسجد كالموقت والراوي لحديث الانصات ، وجعل لهذا المسجد منبرا من الرخام الشفاف

، مؤلف من سبعة أصناف ، من مرمر وجزع ، وزبرجد وودع ، وفيروزج وفاروز ، كأنه اللواء المشروز ، أبدع فيه كل خارط صنعة الخرط ، وكل ناقش زاد على الشرط ، وكل مسطر حقق ما سطر ، وكل مشجر أبدع فيما شجر ، فهو كالأمير والتاج على رأسه ، والكل في خدمته وأنسه ، وكسا جدرانه بالزليج والفرفري والصيني ،وفوقه الجبص الفائق المعدني ، وجعل في كل جهة رواشن تسطع منها الأنوار مضيئات ، وسلاسل مموهة للقنادل والثريات ، وجعل تحت كل روشن ساعة على كرسي كالعروس ، يطرب لسماعها جوامع النفوس ، فجاز بلطافة شكله ضخامة المساجد والمدارس ، وجاز برقة صنعته أنوار الزارع والفارس ، فلو رأته السليمانية بالقسنطينة لسلبها ، ولو كلمته ءاية صوفية ما أجابها ، ولو قابله الجامع الازهر ، لتعجب من حسنه وانبهر ، ولو ناظرته الشام وحلب ، لاعترفوا بفضله واقروا (بياض) ، ولو سمعت بتشييده بيعة الاشبونة لتهدمت ، ولو شاهدته كنيسة (بياض) العظمى لاسلمت ، فنزهت طرفي في رياض أزهاره وانواره ، واستعلمت فكري في معارف شموسه وأقماره ، وتحققت بسيادة بانيه ، وتيقنت أن السعادة والكرامة تحف به وتدانيه ، وداخلني من القشعريرة والخشية ، ما انطقني الله بما يتقبله من الادعية ، وعلمت أن معمره ممن اصلحهم الله وسرهم ، وان لله رجالا لو أقسموا على الله لابرهم ، فأجابني المسجد بلسان الحال ، وانشد وقال :

طهر ثيابك وأحسن الوضوء ولا   تنس التحية ان شاهدت اسراري

وامم قبتي واقصد الى قبلتي   وسرح الطرف في رياض أزهاري

واحرم وقف واركعن واسجد لربى الورى   وادع لمن صانني وحط اوزاري

ابرزني لوجود العز من عدم   فهو روحي ومسمعي وابصاري

صيرني مسجدا لله عمرني   بالذكر ذاك الذي عظم مقداري

امهر مولاي أكياسا بلا عدد   في زينتي ليرى حسني وانواري

أقام في خدمتي حورا على سرر   هن شموسي وان أمسى فاقماري

أنسني بخوان مطربات فما   ينمن من شغفي يرصدن انداري

طوقني بسياج العز مبتهجا   بكل نوع من الازهار معطاري

توجني التاج والاكليل منتظما   من اليواقيت اقراطي وازراري

وكل حليي واكؤس منضدة   وكل فرشي وما تحتي واستاري

وزاد فب المهر املاكا معينة   لمن يقوم بخدمتي واوطاري

فمن يجود بما سطرت محتسبا   الا التقي الزكي الاسد الضاري

حامي لواء الرسول المصطفى حسن   فخر الملوك رعاه مولانا الباري

فعودته بالله الواحد الاحد ، الفرد الصمد ، وحجبته بئاياته البينات ، من اعين الشياطين والكفار المعينات ، ونسأل مولانا الكريم ، رب العرش العظيم ، يتقبل من بانيه عمله ، يبلغه الدارين رجاءه وأمله ، ويكافيه بقصر في جنة المأوى ويوفقه في السر والنجوى ويصلح به معلى يده ، ويعطيه من خير ما لديه ، ويبقيه لنصر هذا الدين المحمدي ، ويعزه بالعز الدائم السرمدي ، ويسبل الستر الجميل عليه ، وعلى اولاده واخوانه ، واحبائه وعساكره وانصاره ، قال رب الاوائل والاواخر « انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر » وقال صاحب التشريع والسنة « من بنى لله مسجدا بنى الله له قصرا في الجنة » فليحمد الله بانيه على هذه النعمة العظمى التي لا يعد لها ملك ولا مال ، ولا يحصل ثوابها من مواساة أخ ولا عم ولا خال فهنيئا له ولله الحمد ، ودامت كرامته والمجد ، وختم افعاله بالشهادة ، وجعله من الذين احسنوا الحسنى وزيادة ، وقلت أبياتا في تاريخ بنائه لهذا المسجد وهي :

أسرع الى سبل الخيرات تاتيك   وابشر فان الذي عاملت يدنيك

حسنت بالعدل ديننا ومتجرنا   فنسأل الله بالفردوس يرضيك

بنيت لله هذا البيت محتسبا   فرب هذا الذي شيدت ينجيك

اغنيت صناعه عظمت حرمته   وضحت تاريخه فالله يغنيك

لازلت يابهجة الملاك يا حسنا   موفقا وجنود الله تحميك

وقلت ابياتا في مدح بانيه :

شيدت ذا البيت «أشرف » الملوك ومن   احيا الجهاد ببر الترك والعرب

ما مثله مسجد بالفيء عمره   للاتقياء واهل العلم والادب

ابقاه على اهل الزمان لمن   «يرغب ان يقتدى في الخير والقرب »

فخر السلاطين بين الورى حسن   ابشر فقد فزت بالفردوس والرتب

ان جئت روضته شوقا على ظما   فاقصد الى منهل ارخته واشرب

انتهى كتبه بلقاسم بن احمد الزياني سنة عشر و مائتين والف . «1210 هـ - 1796 م »

المصدر : الزياني ، الترجمانة ، مصدر سابق ، ص ص 375 - 379 .

ملحق رقم : 8 .

قصيدة للعياشي كتبها عند دخوله ضريح خالد بن سنان :

يا نبي الإله يا ابن سنان	خالدا جد لخائف بأمان
مذنب يطلب السماح ويرجو	نفحة تطلق الأسير العان
قد أناخ ببابكم مستجيرا	بجنابك من صروف الزمان
فاحمه أنت خير من يمنع الجا	ر ويطعن دونه بسنان
وحاشاك يسام جارك يا خير	الورى بمهانة وهوان
فاحم من أم ابك الرحب يرجو	غارة يكشف الهموم الدوان
أيخاف إذا أتى لحماكم	مستجير من المهالك جان
كن كفيلا بمحو ذنبي فما لي	بالذي قد جئت منه يدان
ما أضاعك إذ أضاعتك عبس	من أجلك في أجل مكان
بل حباك نبوة وارتفاعا	قد غدا دون قدره الفردقان
لو أطاعوك في وصيتك	القرار أو ما تقول أي عيان
قد أتيتك طالبا وصلة	الله فإن نلت هذه فكفاني
فبجاهك أسأل الله ربي	لأفوز بها غير توان
وقصدتك مادحا بنظام	مثل زهر الربا ونظم جمان
فتقبل بفضل جودك مني	حلة رمت نسجها بلساني
يا نبي الإله فاجعل جزائي	بالذي ابتغي وسكنى الجنان
يا نبي الإله فاقبل على ما	سطرته من المديح بنان
فعليك من الإله سلام	وصلاة تترا بكل أوان .

المصدر : العياشي ، الرحلة ، مصدر سابق ، ج2 ، ص ص 543 - 544 .

الفـــــــــهــــــــــارس:

- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس الموضوعات .

ث

ج

ح

خ

د

ملخص الدراسة :

باللغة العربية :

الحضور المغاربي في الجزائر خلال العهد العثماني ، دراسة تاريخية اجتماعية ثقافية ، وهو محاولة لإلقاء نظرة عن التواصل الاجتماعي والثقافي المغاربي في أحد أقطار المغرب العربي والذي هو الجزائر ؛ في خضم مناوشات كانت تحدث بين الساسة آنذاك نظرا للاختلاف التسيير السياسي لبلدان المنطقة والذي كرسه دخول عناصر طارئة عن المنطقة والمتمثلة في العثمانيين ، والذين حكموا كلا من طرابلس الغرب ـ ليبيا ـ تونس ، والجزائر مع محافظة حكام المغرب الأقصى على حكم بلادهم ؛ وقد حاولنا من خلال هذا الموضوع البحث عن بعض العلاقات الحضارية التي كان ينسجها المغاربة مع إخوانهم الجزائريين .

الكلمات المفتاحية : الحضور المغاربي ، المغاربة في الجزائر ، العلاقات المغاربية ...

باللغة الفرنسية :

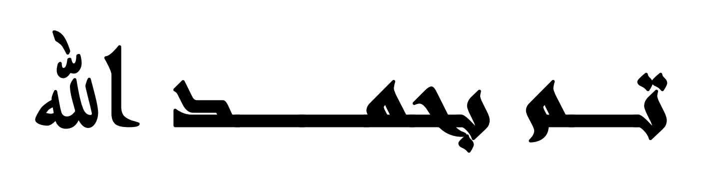
La présence Magrébine en Algérie en a l'époque Ottomane, est une étude historique, sociale et culturelle. Une tentative de voir la communication sociale et culturelle maghrébine dans l'un des pays du Maghreb Arabe qui est l'Algérie. Dans le milieu des escarmouches avait lieu entre les Politiciens a ce moment là en raison de la différence dans la gestion politique des pays de la région, ce qui est caractérisé par l'enterrée des éléments hors de la région qui sont les ottomanes qui ont gouverne Tripoli – Libye – Tunisie, et l'Algérie alors que les gouverneures du Maroc on garde la règne de leur pays. On a essayé a travers de cette étude de trouver quelque relations culturelles instaurées par les maghrébins avec leurs frères Algériens.

Mots clés : La présence Magrébine, les maghrébins en Algérie, les relations maghrébines…

باللغة الإنجليزية :

The Maghreb presence in Algeria during the ottoman era is historical, social and cultural study. an attempt to see the social and cultural communication in one of the Arab Maghreb countries which is Algeria .in the mid skirmishes took place between the politicians that time because of the difference in the political management of the countries of the region, which is characterized by the entry of outside elements to the region who are the ottomans who ruled Tripoli –Libya - , Tunisia, and Algeria while the governors of Morocco kept the reigns of their country. We tried though this study to find some cultural relationships established by the maghrebians with their Algerian brothers.

Keywords: The Maghreb presence, maghrebians in Algeria, Maghreb relationships…


تم بحمد الله